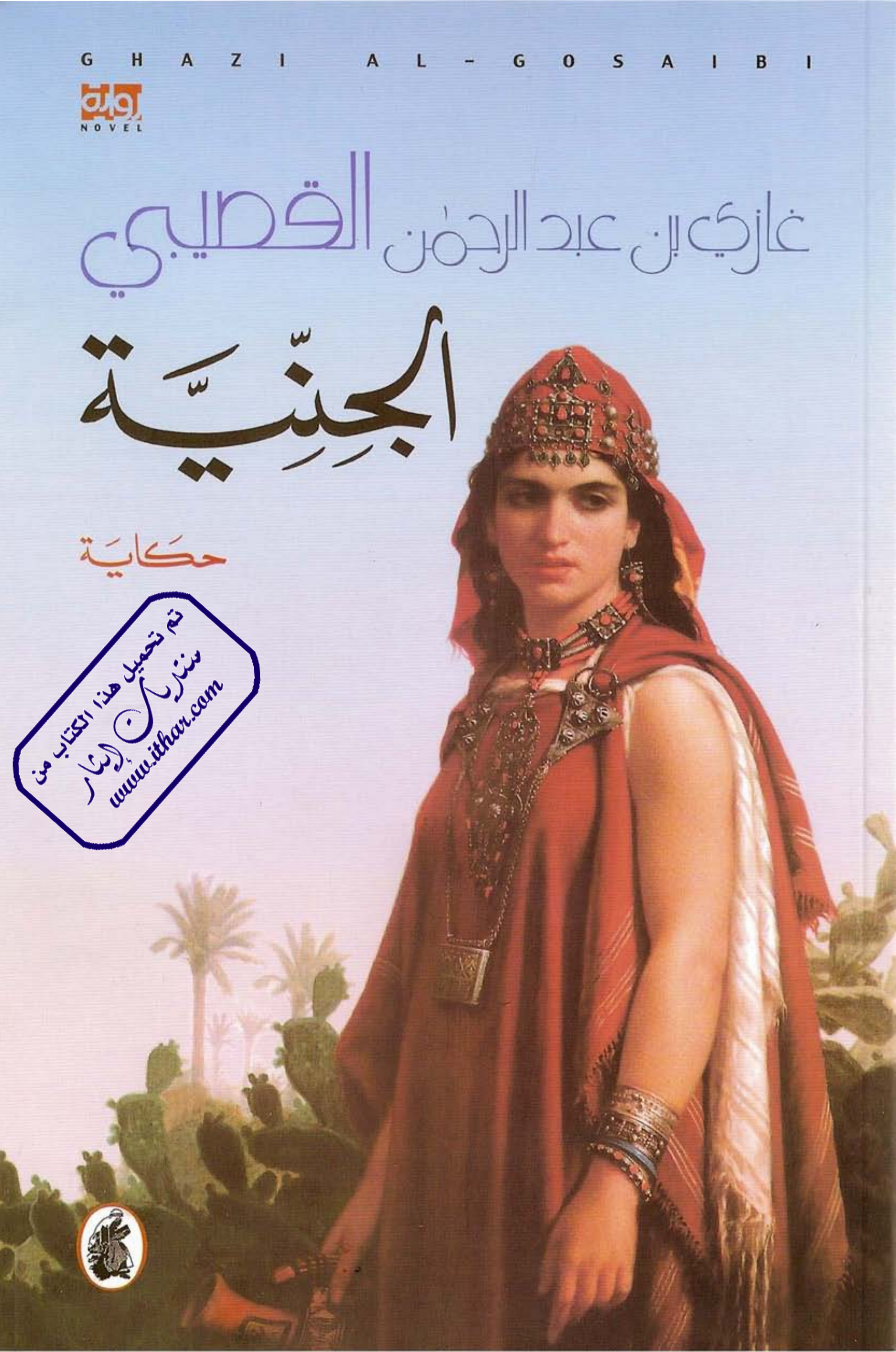
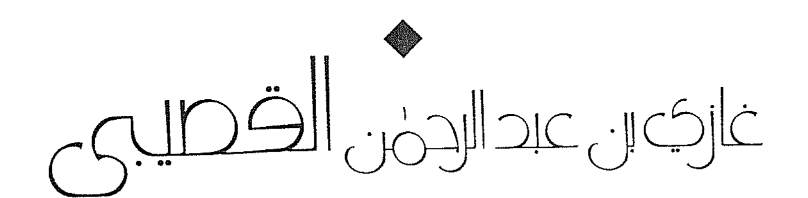
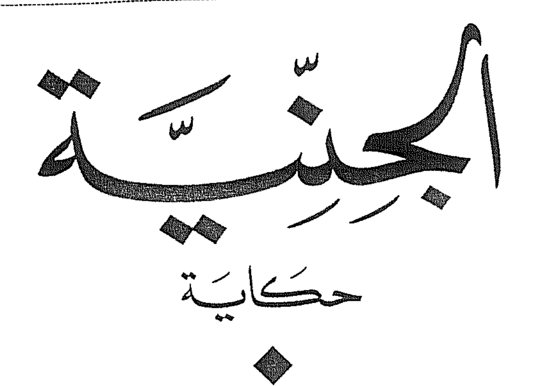

GHAZI AL-GOSAIBI
رواية
NOVEL
غازي بن عبد الرحمن القصيبي
الجِنّيّة
حكاية
تم تحميل هذا الكتاب من
منتديات إيثار
www.ithar.com


NOVEL


غازي بن عبد الرحمن القصيبي


الجنّية
حكاية



سؤال

أيتـــهـــا الجنيـــة!

هل أنت الحـــرّية؟!

أيتـــهـــا الحـــرّية!

هل أنت جنّيـــة؟!

شكر

يسعدني أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأصدقاء ، الأستاذ إبراهيم الطاسان ، والأستاذ فيصل بن معمر ، والأستاذ سليمان الوائل ، على تفضلهّم بتزويدي بعدد كبير من المراجع عن الجن والإنس .

مدخل

رُبَّ كــــرمٍ مــــدَّهُ الليـل لنـا
فتواثبْنا له . . نبغي اقتطَافَهْ
وعلى خــيــمــتــهِ . . أسَــودُه
عربيٌّ الجود . . شرقيٌّ الضِيافَهْ
وَجَـدَ العــرس على بهــجتــهِ
وسنَاهُ . . دون وَرْدٍ . . فأضافَهْ
ثــم وارتْ يـده . . جنّيــــــةٌ
وطوته كـأسـاطيـر الخُـرافـهْ

ناجي

الفصول

-١-

أقدِّم لكم نفسي:

(ض. ض. ض)

يا فؤادي! العمرُ سفْرٌ وانطوى
وتبـقّتْ صـفـحـةٌ قـبْلَ النوى

ما الذي يغريك بالدنيا . . سوى
ذلك الوجـدِ . . وذيَّاك الهـوى؟

ناجي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها القراء الكرام (والقارئات بطبيعة الحال) . محبّكم راوي هذه الحكاية - والحكاية كلمة محايدة تريحني من تقعّرات النقّاد ومن نقد المتقعّرين - أستاذ جامعي متقاعد ، بلغ عمره حين بدأ كتابة هذه الأوراق خمساً وستين سنة كاملة محسوبة بالتاريخ الميلادي ، وأكثر من ذلك ، بطبيعة الحال ، بالتاريخ الهجري المجهول في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي . اسمي الثلاثي ، أي اسمي واسم والدي واسم أسرتي ، هو ضاري ضرغام الضبيّع (أو ض . ض . ض . كما يسمّينني أصدقائي) . وهذا الاسم ضارب في لغة الضاد على نحو يتعذّر معه لفظه على معظم الناطقين بهذه اللغة ، فضلاً عن الذين يجهلونها . وأكثر الذين يخطئون في نطق اسمي هم من إخواني السعوديين ، الذين يصرّون على تسميتي ظاري ظرغام الظبيّع . أعرف السبب في تسمية العائلة الضبيّع ، وسوف أورده لاحقاً ، ولكنني أجهل السبب الذي دفع الوالد ، رحمه الله ، إلى أن يطلق عليّ اسم ضاري الشرس في حين أنه أطلق على أخويّ ، ماجد الذي يصغرني بسنتين ، وحامد الذي يصغرني بأربع سنوات ، اسمين رقيقيْن نسبياً ، بينما أطلق على

أختي التي تصغرني بسبع سنين ، اسماً رقيقاً جداً هو سندس . أحسب أن الوالد ازداد رقة بمضي السنين (كما يحدث مع أغلب الآباء) .

تنتمي عائلتي في أصولها إلى نجد ، ولكنها نزحت من عدة قرون إلى الإحساء واستقرّت هناك . وُلدت مع مولد الحرب العالمية الثانية في الهفوف ، عاصمة الإحساء . نشأت في أحضان أسرة صغيرة تضم ، بالإضافة إلى من سبق ذكرهم ، الوالدة حصّة ، رحمها اللّه . بجانب الأسرة الصغيرة كانت هناك «الحمولة» التي تضم مئات الأقارب ، والتي لا يهمنا أمرها في هذه الحكاية .

كانت الأسرة ميسورة ، لا هي بالغنية ولا هي بالفقيرة ، كان الوالد تاجراً صغيراً ، «متسبباً» كما يقول التعبير السعودي الدارج ، وكان دخله يكفي لسد متطلباتنا بلا نقصان ، وبزيادة بسيطة أحياناً . بدأت تعليمي في الهفوف حيث أكملت الدراسة الابتدائية ، ثم انتقلت ، مع انتقال العائلة ، إلى الخبر حيث أكملت الدراسة الثانوية بتفوق . التحقت بأرامكو ، شركة البترول الشهيرة ، وبعد دورة تدريبية / تأهيلية حصلت على بعثة من الشركة لدراسة هندسة البترول في الولايات المتحدة . استقر بي المقام في لوس أنجلس حيث التحقت بجامعتها الشهيرة «يو . سي . إل . إيه» – وترجمتها بالعربية «جامعة كاليفورنيا ، فرع لوس أنجلس» .

بعد شهور قليلة من الدراسة ، قررّت أن هندسة البترول تخصّص لا يلائم طبيعتي ، وعزمت على أن أتحوّل إلى دراسة

الأنثروبولوجي ، أو ، كما يسمى بالعربية ، علم الإنسان . لو كانت الجهة التي ابتعثتني حكومية أو جامعية لكان تغيير التخصص مستحيلاً من المستحيلات الثلاثة أو الأربعة أو الخمسة (من يعرف عدد المستحيلات؟ أنا أعتقد أنها لا تحصى!) . أمّا والمبتعث شركة أمريكية ذكيّة تدرك أن عودتي متخصصاً في الأنثروبولوجي قد تفيدها في تعاملها مع الإنسان السعودي ، أكثر مما تفيدها عودة مهندس بترول ، عندها المئات من أمثاله ، فقد تمت الموافقة على تغيير التخصص بسهولة . مرت سنوات الدراسة بهدوء ، أعني بهدوء من الظاهر ، أما الداخل فسوف تأتيكم أخباره في الصفحات القادمة ، وحصلت على البكالوريوس فالماجستير فالدكتوراه في التخصص الذي اخترته .

عدت إلى الوطن ، في الثامنة والعشرين ، لأعمل باحثاً في أرامكو . أوكلتْ إليّ الشركة إنشاء إدارة جديدة يخفي اسمها هدفها الحقيقي . كان الاسم «إدارة الدراسات العامة» أما الهدف فكان أكثر تحديداً : دراسة الإنسان السعودي بجانبيه الفردي (المايكرو) والاجتماعي (الماكرو) . خلال عملي في هذه الإدارة تمكنّت ، مع عدد صغير من الزملاء السعوديين والأمريكيين ، من إعداد دراسات ، لعلّها الوحيدة من نوعها ، عن الفرد السعودي وعن المجتمع السعودي . كانت معظم هذه الدراسات سرّية لا يطلع عليها سوى بعض المسؤولين القياديين في الشركة ، وكان القليل منها يطبع ويوزع على نطاق واسع ، ذراً للرماد في العيون .

مع انتقال ملكية الشركة إلى الدولة في أواخر السبعينات

الميلادية لم تعد للإدارة فائدة . كانت أرامكو (الأمريكية) تعتقد أنها بحاجة إلى كم هائل من المعلومات لتستطيع التعامل مع السعوديين المحليين . عندما أصبحت أرامكو شركة سعودية تتعامل مع مواطنين سعوديين ، انتفت الحاجة إلى الدراسات الأنثروبولوجية السّرية . انتقلت المكتبة العامرة بالدراسات التي أنفقت في إعدادها أجمل سنوات عمري إلى مكان ما في تكساس ولم يسمع أحد عنها شيئاً بعد ذلك . (حقيقة الأمر أن كثيراً من وثائق الشركة اختفت في مكان ما – إلاّ أن تلك حكاية أخرى) . من حسن الحظ أني كنت حريصاً على الاحتفاظ بنسخة شخصية من كل دراسة شاركت فيها ، وأصبحت هذه النسخ فيما بعد مصدراً رئيسياً من مصادر الكتب التي نشرتها عن الفرد السعودي وعن المجتمع السعودي .

وجدت نفسي على مشارف الأربعين أبحث عن عمل جديد . لم يطل البحث وانضممت إلى هيئة التدريس في جامعة أهلية في الخبر سمّاها مالكوها من رجال القطاع الخاص «جامعة النجاح» تفاؤلاً بالربح . عُيّنت أستاذاً مشاركاً ، وبعد أربع سنوات رقيت إلى درجة أستاذ . يبدو أن غزارة إنتاجي بالإضافة إلى علاقتي الممتازة بالطلبة ، هي التي دفعت الجامعة إلى إبقائي حتى سن الخامسة والستين ، التي لا يجوز التمديد للأستاذ الجامعي بعدها . كان التقاعد هو الفرصة التي انتظرتها طويلاً لكتابة هذا الكتاب .

أنتقل بكم ، الآن ، إلى نبذة موجزة عن حياتي العائلية .

تزوجت أربع مرات ، بالتقسيط لا دفعة واحدة . كانت زوجتي الثانية زميلة أمريكية من زميلات الدراسة ، وانتهى الزواج بعد فترة قصيرة دون أولاد . وكانت زوجتي الثالثة صناعة محلية ، أي سعودية ، وكان هذا الزواج ، بدوره ، قصير العمر ولم نرزق فيه بأولاد . تزوجت زوجتي الرابعة ، زوجتي الحالية ، وهي مواطنة عربية ، قبل قرابة عشرين سنة وكان الزواج سعيداً ، ورزقنا اللّه ولداً ، مشعل ، هو الآن في السابعة عشرة ، وابنة ، مشاعل ، هي الآن في الخامسة عشرة . لعلكم تتساءلون عن الزوجة الأولى وهنا أطلب منكم أن تتحلّوا بشيء من الصبر ؛ فسوف تعرفون في الصفحات القادمة حكايتها كاملة .

أعتقد ، أيها القرّاء الكرام ، أني أعطيتكم صورة وافية عن شخصي يمكن استكمالها بإضافة بعض التفاصيل . بُنيتي ، بحمد اللّه ، قويّة ، ومظهري لا يشي بعمري ، وطولي يقارب ستة أقدام ، ووزني يتراوح من تسعين إلى مئة كيلو جرام . أحب قراءة الكتب ، بأنواعها ، وخاصة الروايات والقصص ، وتستهويني أفلام الخيال العلمي والرعب . أمارس الرياضة ، بانتظام ، وأحرص على تخصيص ساعتين كل يوم للسباحة والمشي . يبلغ عدد كتبي المنشورة ثلاثين كتاباً ، معظمها في الأنثروبولوجي ، أما الجزء الباقي فيشمل أدب الرحلات والقصص القصيرة والخواطر النقدية . تقتضي الأمانة أن أقول إن سمعتي مبنية على الكتب الأكاديمية ، أما بقية الكتب فلم تحظ برواج يذكر بين القراء ولا باهتمام يذكر من النقادّ .

حـــسناً ! هذا هو أنا ، ض . ض . ض ، بطل الحكاية التي ستأتيكم عن قريب ، الحكاية التي لم أجد في بدايتها أي شيء غريب . ثم تبين فيما بعد . . ماذا تبيّن فيما بعد ؟! لم العجلة؟ من الأفضل أن نبدأ الحكاية من البداية .

-٢-

أنا

رائد الحب المشرقي / المغربي !

رِحلةٌ للنجـوم . . لم تكُ أوهاماً . .
وبعضُ النعـــيمِ أوهامُ حَـــالمْ

ناجي

مع قدوم السبعينات الميلادية من القرن المنصرم (الفارط بالمغاربية!) بدأ إخواني السعوديون ، وتبعهم بقيّة أبناء الخليج ، التعرفّ على المغرب . منذ ذلك التاريخ نشأت قصص حب مشرقية / مغربية ، تُعدّ بالآلاف ، وربما عشرات الآلاف . من هذه القصص ما انتهى نهاية سعيدة ، ومنها ما انتهى نهاية مأساوية ، أما الغالبية العظمى منها فلم تخرج عن النمط المألوف في قصص الحب في كل زمان ومكان : لقاء فرغبة فعشق فملل ففراق . بكل فخر واعتزاز ، أقول إنني كنت أول من فتح هذه الصفحة المشرقة من صفحات التعاون العربي البنّاء . لا بدّ أن أضيف ، مراعاة للدقة العلمية ، أنه قد يكون هناك روّاد قبلي إلا أنني لم أسمع عنهم شيئاً . ريادتي يمكن تلخيصها في جملة واحدة : كنت أول شاب سعودي يحبّ فتاة مغربية .

كان ذلك في الماضي البعيد ، صيف سنة ١٩٦١م ، وكنت في الحادية والعشرين . كنت متجهاً في إجازة دراسية من لوس أنجلس إلى الخبر . كان خط الطيران معقداً بعض الشيء ، يمر بعدة مدن ، بعضها من اختياري وبعضها من اختيار شركة الطيران ، «الإيرفرانس» في هذه الحالة . لا أذكر ، الآن ، هل اخترت البقاء

أربعة أيام في الدار البيضاء أم أن جداول الشركة كانت المسؤولة . أيّاً كان الأمر ، وجدت نفسي متجهاً من باريس إلى الدار البيضاء ، وفي مطار المدينة الأخيرة بدأت قصة الحّب . كانت هناك فتاة مغربية ، في سني أو أصغر قليلاً ، تعمل مضيفة أرضية في شركة الطيران . كانت هناك النظرة الأولى المشهورة ، فالابتسامة المعروفة التي تليها ، فالسلام فالكلام . في كل حب شيء من الشفقة ، في تصوري على أية حال ، ولعل الشفقه على غريب مذهول ضائع في المطار هي التي قادت فاطمة الزهراء شافعي إلى أن «تتبنى» الفتى السعودي المرتبك . أنهت إجراءات المطار ، وكان شأنها شأن الإجراءات في المطارات العربية كلها ، طويلة بلا مبرّر ومعقّدة بلا سبب . أخذتني إلى فندق متواضع اسمه «مولاي إدريس» يقع في شارع جانبي من شوارع الدار البيضاء اسمه «زنقة الريف» . قضت معي معظم الوقت الذي أمضيته في هذه المدينة ، وودعتني عند سلّم الطائرة .

خلال الأيام الأربعة نما الحب وأورق وأزهر . اتفق الحبيبان ، في اليوم الذي تلا اللقاء! ، على الزواج ، وتعاهدا على الولاء والوفاء بقية العمر . اتفقا على أن يعود هو إلى الدار البيضاء في طريق الرجوع . اتفقا على أن يفاتح هو عائلته في أمر الزواج بمجرد وصوله إلى الوطن ، وأن تفاتح هي عائلتها بمجرد سفره . لم يكن لديه أدنى شك في أن اللقاء القادم سوف ينتهي بالزواج ، أو الخطبة على أقل تقدير .

بدون دخول في التفاصيل المرهقة التي يستطيع القراء الكرام

تصوّرها بلا صعوبة ، لأن القصة ما زالت تتكرر يومياً في عالمنا العربي السعيد ، أقول إن الوالد ، رحمه اللّه ، رفض المشروع المشرقي / المغربي رفضاً قاطعاً نهائياً لا رجعة فيه ، وأيّدته الوالدة ، رحمها اللّه ، بحماسة بالغة ، وانضمّ إلى جبهة الرفض والتصدّي عدد كبير من الفضوليين من أفراد «الحمولة» . كانت إقامتي في الخبر ، بعد أن وئدت فكرة الزواج في مهدها ، مليئة بالكآبة العنيفة ، المرة الأولى وليست الأخيرة التي أمرّ فيها بتجربة تحمل هذا الألم كلّه . لم تكن وسائل الاتصال المعروفة اليوم متيسّرة وقتها في منطقتنا ، وكانت المكالمة الدولية تتطلب إجراءات معقدة عبر عدّة أيام . اكتفيت بالتفكير في الحبيبة ، وعندما قرب ميعاد السفر ، أرسلت إليها برقية تتضمن تفاصيل القدوم . لعلّ الكآبة الحادة الممزوجة بصورة الحبيبة كانت المسؤولة عن الحلم / الكابوس المريع الذي رأيت فيه فاطمة الزهراء تدفن في قبر . كان الحلم واضحاً وضوح الحقيقة ، وكانت التفاصيل مذهلة في دقتها : جدار المقبرة ، وبابها ، والقبر المفتوح ، والجسد الذي يُدسّ في التراب ، وأهل الحبيبة يتلقّون العزاء .

عندما حطت الطائرة في مطار الدار البيضاء كنت واثقاً أن حبيبتي ستخلف الموعد الذي اتفقنا عليه . كنت واثقاً أنها نزيلة المقبرة التي نقلها الكابوس من الدار البيضاء إلى فراشي في الخبر . لكم ، أيها القراء الكرام ، أن تتصوّروا مدى دهشتي - وفرحتي! - وأنا أجد فاطمة الزهراء في انتظاري عند سلم الطائرة . كنت في حالة ذهول ، أسألها ، المرة تلو المرة : «هل أنت

بخير؟» ، وكانت تكتفي بالابتسام .

بدأت الأمور تأخذ مجرى غريباً بمجرد خروجنا من المطار . بدلاً من أن يتجه التاكسي - أو «الطاكسي» كما يقول الإخوة المغاربة - إلى وسط المدينة ، حيث يقع الفندق المتواضع ، اتجه ، مباشرة ، إلى ضاحية من ضواحيها . وقفنا عند بيت قديم في وسط بستان مهجور . قالت فاطمة الزهراء إن البيت ملك خالها ، وإنها استعارته لإقامتنا . كان ذهني يئز بالأسئلة ولكن لم أقل شيئاً . عندما دخلنا المنزل أخبرتني أن والدها رفض فكرة الزواج ، وأنها قررت ألاّ تنصاع لإرادته ، وأن تتزوجني . وأضافت أن خالها بارك الزواج ، وأن رأي خالها ، الذي يحبها وتحبه كثيراً ، يهمها أكثر من رأي أبيها . سألتني إذا كنت مستعداً لاتخاذ قرار كالذي اتخذته هي . قلت ، في فورة الصبا والعشق والدهشة ، إنيّ مستعد لزواجها ولو أدّى القرار إلى موتي . يا لاندفاع الصِبا!

تركتني فاطمة الزهراء في الطابق الأرضي ، وذهبت إلى الطابق العلوي ، وعادت بعد ساعة ، انقضت كنهار كامل . نزلت ترتدي ثوب الزفاف الأبيض ، متألقة كالقمر ، وخلفها أربعة رجال . سلّم علي أولهم ، وقال إنه خال «البنت» وليّها ، وإنه يوافق على زواجي منها على سنة اللّه ورسوله . بعده سلّم علي رجل ملتح وقور تبيّن أنه الشيخ الذي سيقوم بعقد القران . بعده ، جاء دور الرجلين اللذين اتضح أنهما سيكونان شاهدي الزواج . سأل الشيخ عن المهر . بعد تفكير قصير كتبت شيكاً سياحياً بعشرة دولارات أعطيته لفاطمة الزهراء . هل يوجد في قصص

الحب ، عبر التاريخ كله ، مهر دفع بشيك سياحي؟!

حسناً! مر أسبوع كما تمّر الأحلام أو أسرع ، ولي إلى هذا الأسبوع الذهبي عودة بعد عودة . في آخر يوم بدأت الأمور تتّجه اتجاهاً شديد الغرابة . في التاكسي ، في الطريق إلى المطار ، لفت انتباهي الحائط الضخم الممتدّ إلى ما لا نهاية ، الحائط الذي رأيته في الحلم / الكابوس . قلت بدون تفكير : «هذه هي المقبرة!» . ابتسمت فاطمة الزهراء ، وقالت : «نعم . هذه مقبرة الشهداء» . كنت على وشك أن أقصّ عليها ما رأيته في المنام ولكنها ، ببراعة متناهية ، غيرّت مجرى الحديث .

قبل أن تقلع الطائرة بدقائق ، بدقائق معدودة ، انتهى عالم الواقع وبدأ العالم السريالي . همست فاطمة الزهراء في أذني أنها تعتذر لأنها اضطرت إلى «تقمصّ شخصية غير شخصيتها» . وأضافت أن فاطمة الزهراء ماتت ، بالفعل ، على اثر التهاب حاد في الزائدة الدودية ، ودفنت ، بالفعل ، في مقبرة الشهداء . لا أظنني بحاجة إلى أن أقول للقراء الكرام إن المفاجأة عقدت لساني ، عقدته حقيقةً لا مجازاً ، وأحسبها صبغت وجهي باللون الأصفر . كنت أدرك ، بشكل غريزي وبما يشبه اليقين ، أنها كانت تقول الحقيقة . عند سلّم الطائرة أعطتني ورقة وهمست : «إذا أردت رؤيتي فما عليك إلاّ أن تحرق الورقة» . جلست على مقعدي في الطائرة ، وفكرة واحدة ، فكرة بحجم الطائرة أو أكبر ، تملأ ذهني . هل كنت أتعامل مع جنّية؟ جنّية؟! لم أجرأ على إخراج الورقة من جيبي وقراءتها إلاّ بعد يوم وليلة من مغادرة الدار

البيضاء ، بعد أن حطت الطائرة في مطار لوس أنجلس . أخرجت الورقة ، ولم يكن فيها سوى كلمة واحدة كتبت بقلم الرصاص وبخط نسخ جميل : عائشة . عائشة؟ عائشة؟! هل هذا اسم الجنّية؟!

-٣-

أنا... والجن !

يا ابنة الأصداف! والبحر أبي
قبل أن يلقي بي الموجُ هنا

ناجي

اسمحوا لي ، أيها القرّاء الكرام ، أن أستريح من تسلسل الأحداث ، وسوف أفعل هذا أكثر من مرة في هذه الصفحات ، لأحدثكم عن حصيلتي من المعلومات عن الجن . عندما دخلت عائشة حياتي ، كانت معرفتي بعالم الجن تقتصر على الحكايات التي كانت تدور في مجتمعي ، والتي رسخت في العقلين ، الظاهر والباطن ، خلال الطفولة . وزادت رسوخاً مع حكايات جديدة سمعتها خلال فترة المراهقة في المدرسة الثانوية ، حيث أضيفت إلى أساطير الجن المحلّية أساطير جديدة من أماكن مختلفة من السعودية ، نقلها الطلبة القادمون من هذه المناطق ، (والمدرسّون أحياناً!) .

نبدأ بالمنطقة الشرقية التي يبدو أن جنّها يتنقلون بسهولة متناهية بينها وبين بقية مناطق الخليج . هناك ، أولاً ، الجنية الأشهر في منطقة الإحساء ، «أم السعف والليف» . كان كل طفل إحسائي – أو «حساوي» وهي كلمة أخف على اللسان! – يرتعد في فراشه كل ليلة وهو يسمع حفيف «أم السعف والليف» وزفيفها قادمين من عوالم الكبار ، الذين يخبرونه أن «أم السعف والليف» جنية رهيبة يغطّيها الليف ويجلّلها السعف ، وأن هوايتها المفضلة

هي معاقبة الأطفال الذين يخالفون تعاليم الكبار، مع ترك طبيعة العقوبة غامضة بعض الشيء. وعندما يكبر الطفل يقول له الكبار: «هاه! هاه! صدّقت؟! «أم السعف والليف» هي النخلة. لا توجد جنّية ولا عفريتة. كنا نمزح معك. هاه! هاه!». غنيّ عن الذكر أن هذا المزح الثقيل يتحول عبر السنين إلى جزء من عقل الطفل الباطن (قسم الجن!)، قد يبقى معه بقيّة عمره.

وتأتي بعد «أم السعف والليف» في الشهرة، وتفوقها في نشر الذعر، جنّية اسمها «أم حمار». من حسن الحظ أن كل قصص «أم حمار» تتعلق بالكبار، وكان الصغار يستمعون إلى مغامراتها بدون شعور مباشر بالخوف. تختلف التفاصيل المرتبطة بهذه الجنية. هناك من يصوّرها امرأة شابة حسناء، وهناك من يزعم أنها عجوز غاية في البشاعة. إلا أن كل حكاياتها، بلا استثناء، تنتهي بأن تخرج المرأة، الحسناء أو الشوهاء، قدمها للضحية أو الضحايا، وتظهر قدم الحمار المخيفة. هناك خلاف حول مصير الضحايا. معظم الحكايات تذهب إلى أنهم يصابون بالجنون (الدائم أو المؤقت)، وبعض الحكايات يذهب إلى أن «أم حمار» بعد استعراض قدمها الحمارية تفتك بالضحيّة فتكاً، ولا تترك منه شيئاً.

وبين هاتين الشخصيتين الجنيتين النسائيتين المرعبتين، يقف جني ذكر مرح ظريف، قصارى ما يستطيع فعله إخافة الناس (أو ممازحتهم!). هذا الجني الظريف يحمل اسماً ظريفاً هو «دعيدع». والأرجح أنه يتمتع بشكل ظريف، وإن كانت القصص التي تدور

عنه لا تذكر شكله على الإطلاق. كلّ الحكايات التي تروي عنه تتحدّث عمّا يتعرض له المشاة ليلاً في البساتين من ضربات تنصبّ من أعالي النخيل، من الرطب في موسم الرطب، ومن الأحجار الصغيرة في بقية المواسم. يلتفت الضحيّة إلى مصدر الطلقات فلا يرى شيئاً، إمّا لصغر حجم «دعيدع» أو لقدرته على الاختفاء. يستمر هذا القصف الجوي حتى يتذكر المقصوف كلمة السرّ: «عرفتك يا دعيدع!». وعندها تنتهي المعركة بوقف القصف وعودة «دعيدع» إلى قواعده، حيث توجد هذه القواعد[1].

لا أودّ أن أترك جن الخليج دون التعريج على أشهر جنّي يجري في المنطقة هو «أبو درياه». تتفق حكايات البحارة على أنه أقرب في الشكل إلى القرد الضخم منه إلى الإنسان. وأنه يظهر في ظلام الليل من أعماق البحر إلى السفينة التي نام بحارتها، ويتّخذ موقعاً في مؤخرتها، ويأخذ النارجيلة التي يجدها هناك، ويدخن باستمتاع. لا يضر هذا الجني النيكوتيني أحداً، إذا استثنينا ما يستهلكه من تبغ البحارة، ويعود إلى البحر بمجرّد

(١) في مراحل لاحقة من حياتي، ومع توسّع قراءاتي في الأساطير، تبيّن لي أن معرفة الاسم في الحضارات البدائية، وربما في غيرها، تحمل الكثير من الدلالات. لا يمكن السيطرة على إنسان عن طريق السحر بدون معرفة اسمه، ولهذا لا يوجد طلسم سحري واحد يخلو من اسم الضحيّة (أو اسم أمه، أحياناً، من باب الاحتياط). إلا أنني كنت في فترة الصبا خالي الذهن من هذه المعلومات.

انتهائه من النارجيلة . يستطيع البحارة ، الذين لا يستظرفون هذا الضيف الليلي ، طرده بالقرع بالهاون . مع أول دقّة ، يقفز صاحبنا إلى الأعماق ، تاركاً النارجيلة مشتعلة . اواه! كم حلمت في طفولتي بفيلم سينمائي يقتسم بطولته «دعيدع» «وأبو درياه» . كنت واثقاً أن «دعيدع» سينتصر على «أبو درياه» في اللحظات الأخيرة من الفيلم .

إذا انتقلنا إلى المنطقة الوسطى من السعودية ، وجدنا أمامنا «السُّعلوه» ، أشهر جنيات المنطقة ، وهي من أكلة لحوم البشر ، كما أنها ، على الأرجح ، هي ذاتها «السعلاة» التي يتحدّث عنها تراثنا شعراً ونثراً . وهناك ، في بعض الأماكن ، نسخة مذكرة من «السعلوة» ، يُسمّى «السعلو» يشارك «السعلوه» حب اللحم البشري . وهناك «الوهوة» ، وهو جني يظهر في شكل كلب ضخم مفترس ، يلتهم من يلقاه من الكبار والصغار . ونجد في بعض المناطق جنياً مغموراً بعض الشيء اسمه «أبو سلعافة» لا تذكر لنا الحكايات من صفاته سوى طول قامته ، وقدرته على التشكل في أجسام مختلفة .

وإذا انتقلنا إلى الحجاز وجدنا جنّية رهيبة تُسمّى «الدُجيّرة» ، والكائنة نفسها تسمى «الدُجّيلة» في المدينة المنورة . هذه الجنية تتقمّص شكل عجوز مسكينة تسأل العابر أن يدلّها على الطريق ، وعندما تنفرد به تمتصّ دمه حتى يموت . وهناك «الغولة» ، الجنية المعروفة في جميع أنحاء العالم العربي ، والتي تُعرف في كتب التراث باسم «الغول» . و«الغولة» ، تظهر بكثرة في الأقاصيص

التي تروى للاطفال في الحجاز . وفي هذه المنطقة تتحول «السعلوة» التي سبق أن التقينا بها في المنطقة الوسطى إلى «السعلاة» ، وهذه الجنّية لا تفترس الرجال وإنما تضاجعهم وتحولهم إلى نسخ مكررة منها . وفي المدينة المنورة ، هناك شخصية جنية مثيرة ، وغامضة بعض الشيء ، اسمها «أبو قرون» تظهر في شكل ثعبان ضخم له قرون على رأسه ، وهو طويل إلى درجة أن رأسه يدخل بيتاً من بيوت الحيّ بينما يكون ذيله في بيت آخر . ورغم تعدد الذين يدّعون أنهم رأوا «أبو قرون» فإنه هناك إجماعاً بينهم على أنه لم يؤذ أحداً منهم .

أمّا في منطقة الجنوب ، وعسير بالذات ، فنجد أمامنا قائمة طويلة بأسماء الجن الذين يسكنون المنطقة . هناك ، أولاً ، فرقة العمل الجنية الشهيرة جداً المسمّاه «سبعة» ، والمكونة من سبعة أفراد ، وتتخصص في إيذاء البشر ، وبصفة خاصة خطف الأطفال ، والكبار أحياناً . وقد بلغ من قوة هذه الأسطورة أن كثيراً من الناس في بعض مناطق الجنوب يتجنبون النطق بكلمة سبعة خوفاً من حضور الفرقة ، ويقولون بدلاً منها «سمحه» . وبالإضافة إلى هذا العمل الجماعي ، هناك جني يعمل منفرداً ويتقمصّ شكل جمل ، اسمه «قعود حايل» ، وتخصّصه الأساسي مطاردة الأطفال في الظلام . وهناك الجني المسمى «بالهول» ، وهو بدوره ، مبرمج على مطاردة الأطفال ، تعينه في المهمة جنية اسمها «أم ليول» ، وجنّي اسمه «أبو رجل يد» .

حسناً ، أيها القراء الكرام ، هذه قائمة مختصرة وغير كاملة

بجن السعودية ، الذين وصلت أخبارهم إلى مسامعي في فترة الطفولة وبداية الصبا . في تلك المرحلة ، كانت الشخصيات الجنية ، خصوصاً المحلّية منها ، جزءاً لا يتجزأ من حياتي اليومية ومن مخاوفي الليلية . لم يكن يراودني أدنى شك أنني أمام مخلوقات حقيقية قادرة على القيام بما ينسب إليها من أعمال مخيفة . مع مرور السنين ، بدت الطبيعة الأسطورية لهذا الجيش المفزع تتّضح لي شيئاً فشيئاً ، حتى تحوّلت الشخصيات الجنّية ، مع نهاية المرحلة الثانوية ، إلى مجردّ حكايات تروى للتسلية . ومع بداية دراستي الجامعية بدأت الطبيعة الإنثروبولوجية – إن صح التعبيرا – لهذه الكائنات تتّضح في ذهني . معظم الجن في المنطقة الشرقية ، حيث الواحات والمزارع والنخيل ، كائنات زراعية على نحو أو آخر . وفي المنطقة الوسطى ، الصحراوية ، تتحول هذه المخلوقات إلى كائنات صحراوية . وفي الحجاز ، حيث الأماكن المقدسّة ، لا يهاجم الجن إلا الأشرار بشراسة تشير إلى مصير من يرتكب جرماً في أقدس الأماكن . وفي عسير ، حيث الجبال الشاهقة والوديان العميقة ، تتحوّل الكائنات الجنّية إلى أدوات ضبط فعالة ، تعين الآباء والأمّهات على التحكّم في تصرفات الصغار وإبقائهم بعيداً عن مخاطر الضياع في الوديان والجبال .

في أوقات لاحقة ، مع توسّع قراءاتي ، أدركت أن هناك عوامل نفسية واجتماعية عديدة تجعل حكايات الجن منتشرة ومقبولة . ربّما كان من أهم هذه العوامل نقل المسؤولية عن تصرفات بشرية من أصحابها إلى الجن . يقول الباحث السعودي

سعد عبدالله الصويان في رسالة ماجستير غير منشورة :

> الناس في الجزيرة لا يصابون بالهلوسة ، وإنما يرون ويسمعون الجن ، وهي كائنات حقيقية ومشهورة بالتأثير على أسماع الناس وأبصارهم . وبما أن الجن كائنات حقيقية فمن السهل استرضاؤهم أو إبعادهم . وعندما يصاب إنسان بالجنون فذلك لا يعني أن هناك خللاً عضوياً . وعندما يتصرّف على نحو يسيء إلى المجتمع فلا يجب أن يشعر بالذنب أو تأنيب الضمير ، ذلك أنه ليس المسؤول عن تصرفاته بل المسؤول الحقيقي هو ذلك الجني الذي يسكنه[1] .

وفي السياق نفسه ، انتشار الإيمان بأساطير الجن واللجوء إلى المشعوذين ، تتقصّى باحثة مصرية الأسباب الموضوعية الكامنة وراء الظاهرة :

> إن ظاهرة السحر تؤدّي أدواراً اجتماعية وظيفية في كل نواحي الحياة ، فهي تستخدم في علاج الأمراض والاحتفالات ، كما تستخدم

---

(1) Saad Abdulla Sowayan, *The Position of Jin in the Arab World View*, M.A Thesis, 1973, Department of Anthropology, North Illinois University. p.58.

أيضاً لتحقيق ما يطمح إليه الفرد . . . ومن وظائف ظاهرة السحر وظيفة الدفاع . . . ضد المعتدين . . وتؤدي ظاهرة السحر وظيفة أخرى أخلاقية وهي الانتقام من الأعداء والتنكيل بهم[1] .

وفي أوقات لاحقة ، أدركت أن التفسير الأنثروبولوجي والنفسي لأساطير الجن لم يكن من اكتشافات العلم الحديث ، ولا من ابتكارات دوركهايم أو فرويد ، وإنما يعود إلى عهد بعيد . وضع المفكر الموسوعي العربي العظيم ، الجاحظ ، يده على العوامل التي أدت إلى انتشار أساطير الجن حين قال :

> إذا استوحش الإنسان تمثّل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب ، وتفرّق ذهنه ، وانتفضت أخلاطه ، فرأى ما لا يرى وسمع ما لا يُسمع ، وتوهّم على الشيء اليسير الحقير أنه عظيم جليل ، ثم جعلوا ما تصوّر له من ذلك شعراً تناشدوه ، وأحاديث توارودها ، فازدادوا بذلك إيماناً ، ونشأ عليه الناشيء ، ورُبي به الطفل ، فصار أحدهم حين يتوسّط الفيافي في

(١) سامية حسن الساعاتي ، **السحر والسحرة** ، (القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر ، ٢٠٠٢م) ، ص١٦١ .

> الليالي الحنادس ، فعند أول وحشة مفزعة وعند صياح بوم ومجاوبة صدى وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور . . . فعند ذلك يقول : رأيت الغيلان! وكلمت السعلاة! ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول : قتلتها ، ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول : تزوجتها[1] .

حسناً! حسناً! الباحثون ، القدامى والجدد ، على العين والرأس . ولكنني أسألكم ، أيها القراء الكرام ، كيف يمكن لهؤلاء الباحثين أن يساعدوا طالباً لم يكد يتجاوز العشرين ، يحمل في رأسه ذكريات غريبة تدور به الدنيا كلما استرجعها ، ويحمل في يده ورقة صغيرة سُطرت عليها كلمة واحدة ، وترن في أذنه جملة تقول إن ما عليه إلا أن يحرق الورقة إذا أراد رؤية حبيبته التي ماتت ودفنت؟! ماذا بوسع هذا الشاب المسكين أن يفعل؟! .

(١) عكاشة عبدالمنان الطيبي ، **الجن في أدب الجاحظ** ، (بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة ، ١٩٩٩م) ، ص١٤٧ .

-٤-

تاريخي مع النساء

وتســـاءلت عن الماضـي . . . وَهَلْ
حَـسنُت دنيـايَ في غـيـر ظلالِكْ

يا حبيبي ! أين أمضي من خجَلْ؟
وفؤادي . . أين يمضي من سؤالكْ؟

ناجي

تاريخي مع النساء عندما حدثت القصّة التي أروي لكم وقائعها الغريبة يمكن أن يُسجّل باختصار شديد . عندما كنت في السعودية لم تكن الظروف العائلية والاجتماعية تسمح بعلاقة من أي نوع مع نساء . باستثناء النظرات الخاطفة في مناسبات نادرة ، والابتسامات السريعة في مناسبات أكثر ندرة ، اقتصرت خبرتي في التعامل مع النساء على قريباتي ، وجميعهن من المحارم . حتى بنت الجيران المشهورة لم يكن لي نصيب من رؤيتها : يبدو أن بيوت جيراننا ، حيثما انتقلنا ، كانت خالية من البنات . كانت لديّ حصيلة هائلة من الأخبار المشوّشة والمعلومات المتضاربة عن النساء من إنتاج زملاء الدراسة الثانوية ، إلاّ أنني لم أكن أصدق ما أسمع ، وكنت أعزوه إلى خيالات الحرمان الجامحة .

لم يكن الوضع أفضل كثيراً خلال سنتي الأولى في أمريكا . أتيت محملاً بكل مخاوف الشاب الشرقي وخجله وانطوائه . كانت معظم ساعات النهار ، وبعض ساعات الليل ، مخصصة للدراسة . كنت أعرف أن سنتي الأولى في الجامعة هي المحكّ ، سنة الغربة الطاحنة ، والتأقلم الأليم ، والصدمه الحضارية الموجعة ، وغرائب النظام التعليمي الجديد وعجائبه . كانت

العلاقات النسائية التي عرفتها خلال هذه السنة ، إن جاز أن تسمى علاقات ، عبر ما يُسمى في أمريكا ، «الموعد المزدوج» ، الذي كان يقوم بترتيبه ، بين الحين والآخر ، زميلي الأمريكي في السكن بالقسم الداخلي ، توم سوانسن . كان توم رياضياً ممشوق القوام ، وكانت الفتيات يتهافتن عليه . ذات يوم ، بدافع العطف أو حسن الجوار ، أو كليهما ، اقترح توم أن يطلب من صديقته إحضار صديقه لها ، ونخرج ، نحن الأربعة ، في «موعد مزدوج» . طيلة المساء كنت أكتفي بإجابات متلعثمة مختصرة على أسئلة الفتاة المسكينة . لم ييأس توم ، وكانت هناك أربعة مواعيد مزدوجة أخرى ، شهدت تقدماً بطيئاً في الموقف ، بلغ ذروته عندما انتهى موعد من هذه المواعيد بقبلة وداعية سطحية ، كانت القبلة العاطفية الأولى في حياتي .

في السنة الثانية ، تطورّت الأمور . انتقلت من القسم الداخلي إلى شقة صغيرة شاركني السكن فيها زميل سعودي اسمه محمد البطيني ، واشتريت سيارة مستعملة استعمالاً خفيفاً . كانت السيارة نقطة تحول حقيقية في علاقتي بالجنس اللطيف . بدون سيارة كان المرءُ في لوس أنجلس ، وأحسبه لا يزال ، مقعداً أو شبه مقعد . الذهاب في موعد مع فتاة مشياً على الأقدام لم يكن من التقاليد المتّبعة ، وللمواعيد في أمريكا طقوس تراعى وعادات تحترم ، في تلك الأيام الغابرة ، على أية حال . مع قدوم السيارة ، ومع الخبرة المستمدة من المواعيد المزدوجة ، بدأت أملك الجرأة على طلب مواعيد من زميلات الدراسة . كنت أتبع

طقوس المواعيد بدقة . من هذه الطقوس أنه لا يجوز طلب موعد في أول لقاء بفتاة ، ويجب طلب الموعد قبل الليلة المحددة ببضعة أيام ، ويحسُن بالشاب أن يتصرف في الموعد الأول وكأن الجنس لا يخطر له ببال .

لا أودّ للقراء الكرام أن يتصوروا أنني تحولت ، فجأة ، إلى دون جوان خطير . حقيقة الأمر أن الخجل القديم لم يبارحني كليّة ، كان هناك موعد كل شهرين أو ثلاثة ، وكانت الفتيات يتراوحن في المظهر من الجمال الفاتن إلى ما يقرب من الدمامة . كانت معظم التجارب تنتهي بموعد واحد . في حالات قليلة كانت الفتاة تتكرر في أكثر من موعد . في الحالات الأخيرة ، وحدها ، كان المساء ينتهي بإيقاف السيارة في شارع هادىء آمن- يطلق على هذه الشوارع في أمريكا «طرق العشاق» - وتبادل قبلات كانت تتراوح في حرارتها من فاترة إلى شيء شبيه بتقبيل نفسك في المرآة .

في السنة الجامعية الثالثة - «السفمور» بالتعبير الأمريكي الأكاديمي - أخذت الأمور تتحسن بشكل واضح . تمكنت من تطوير صداقات حقيقية استمرت بعض الوقت وإن كانت لم تصل ، قط ، إلى مرحلة «الصداقة الحصرية» (بويْ فرند / جيرل فرند) . لم أتجاوز المحاولات حدود السيارة الواقفة في طريق العشاق ، وإن كانت جرأتي داخل السيارة كانت تنمو باطراد ، وتقابل بالصدّ حيناً ، وبالترحيب أحياناً . كل الفتيات اللواتي خرجن معي كن يدعين العذرية ، ولم يكن هناك ما يدعو إلى

تكذيبهن . كانت العذرية السمة الغالبة على طالبات الجامعة في ذلك العهد السحيق ، قبل أن يبدأ الانحلال الذي سُمّي الثورة الجنسية . لم تكن فكرة الاتصال الجسدي واردة في ذهني أو في ذهن أيّ فتاة خرجت معها .

من المهم أن أؤكد ، هنا ، أن موضوع النساء لم يكن يشغل الحيّز الأكبر من تفكيري أو من وقتي . أمّا أفكاري فقد كانت مزدحمة بالقضايا العربية الكبرى ، التخلّص من الاستعمار ، وتحرير فلسطين ، وبناء دولة عربية واحدة تمتد من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر . أما وقتي فقد كانت الدراسة تستأثر بالجزء الأوفى منه ، تاركة للأنشطة القومية ، جمعية الطلاب العرب ، والمؤتمرات الطلابية ، والندوات والمظاهرات ، حصة لا بأس بها ، فلا يتبقى للأنشطة النسائية إلا أقلُّ من القليل .

للقراء الكرام ، إذن ، أن يستنتجوا أن لقائي بفاطمة الزهراء كان نقلة نوعية خارقة في علاقتي بالمرأة ، بكل معاني النقلات ، وكل معاني النوعيّات . لم أشعر بخفقان القلب العاشق قبل اللقاء الأول ، ولم أعرف نشوة العلاقة الجسدية قبل اللقاء الثاني . حين وقعت عيناي على فاطمة الزهراء شعرتُ أني لم أر امرأة بهذا الجمال من قبل . من العبث أن أحاول وصفها فالجمال الحقيقي لا تصفه الملامح ولا المقاسات . أدركت ، لحظتها ، أني أستقبل تجربة الحب الأولى في حياتي ، وأحسب أن شعورها لم يكن يختلف عن شعوري . من غير أن نقول شيئاً قلنا في الدقائق الأولى كل شيء . كيف مرت تلك الأيام الأربعة الوردية؟ كنا

نلتقي في دور السينما ، نشاهد أكثر من ثلاثة أفلام في اليوم والليلة . وكنا نلتقي في المطاعم ، نأكل أكثر من خمس وجبات في اليوم والليلة . في ظلام الصالات السينمائية بدأت القبلات الأولى وآه! آه! آه! كم كانت مختلفة عن القبلات الأمريكية . لم أكن أقبّل شفتين ، كنت أدخل عالماً من السكّر وقطر الندى والدفء والرحيق . أمّا في المطاعم ، فقد تحول الكلام منذ اليوم الثاني إلى الزواج والمستقبل السعيد الذي ينتظرنا بعده . كثير من الكلام الجميل وقليل من القبلات المسكرة ، هذه خلاصة العلاقة التي منحتني في أيام أربعة من الإشباع النفسي والجسدي ما لم أعرفه في حياتي الغابرة كلّها .

في المرة الثانية ، كما سبق أن أوضحت ، كانت الأمور مختلفة . عندما ذهب الخال والشيخ والشاهدان وبقيت بمفردي في المنزل مع فاطمة الزهراء ، شعرت بما يشبه الخوف . قلت «فطوّم! – كان في تقديري أنه لا بدّ من رفع الكلفة بعد أن أبرم عقد الزواج – فطوّم! أنا مُحرج جداً . أنا لا أعرف ما يجب فعله» . كان العرق يتصبب منّي وأنا أهمس بهذه الكلمات . ابتسمت فطوم ، واشتعل المنزل أنواراً ، وقالت : «لا تشغل بالك! تعال معي إلى الحمام» . قادتني إلى حجرة صغيرة وتعرفت ، لأول مرة ، على الحمام المغربي : المصطبة الساخنة ، والبخار الكثيف ، والمياه الحارّة في البركة . بدون أن تقول شيئاً ، نزعت فطوم ملابسها ، ثم نزعت ملابسي ، وطلبت مني الاستلقاء على فوطة كبيرة نقلت حرارة المصطبة إلى جسدي . طلبت مني أن أغمض عينيّ ، وبدأت

تدلك ظهري بأصابعها ، شعرت أن كلّ همّ عرفته في حياتي يخرج من خلاياي ويختفي في البخار . بدأت أنعس ، وبدأ البخار يمتلىء بروائح عطريّة مثيرة . وجدت نفسي ، دون أن أذكر كيف انتقلت ، في غرفة واسعة ، في الطابق العلوي ، على سرير كبير ، والروائح العطرية المثيرة في كلّ مكان . عندما بدأت تقبّلني شعرت بدوار لذيذ طار بي إلى متع لم أكن اتصوّر أن العالم يختزن مثلها . فقدنا العذرية معاً ، وكان الفقد مشوباً بكثير كثير من اللذة ، وقسط لا يذكر من الألم . بدأت ليلة الزفاف بمراهق وأسفر صباحها عن رجل .

مرّ الأسبوع ، كما تمرّ طرفة عين . والآن ، في لوس أنجلس ، عندما أخلو إلى نفسي ، وحتّى عندما أكون مع أحد ، تعود إليّ كل التفاصيل ، حتى الأشياء التي لم ألحظها في وقتها . أتذكر كل كلمة قالتها فطّوم ، كل قبلة ، كل ضمة ، كل مرة غاب فيها وجهي في شعرها الأسود الكثّ الطويل . أتذكر ترنيمات الأطفال المغربية التي كانت تهدهدني بها قبل النوم (أيّ نوم؟!) ، ومن أطرفها ترنيمة تطلب من الطفل أن ينام حتى ينضج الطعام ، وإن لم يوجد طعام في المنزل حتى ينضج طعام الجيران . مع تدفق الذكريات الذي تحوّل إلى طوفان ، أوشك المراهق الذي أصبح رجلاً أن يقف ، لأول مرة في حياته ، على حافة الجنون .

كل ما حدث في الزيارة الثانية يمكن تصديقه ، على الرغم من غرابته ، ويمكن قبوله ، رغم خروجه على المألوف ، باستثناء ما حصل خلال الدقائق الأخيرة قبيل السفر . كيف يمكن أن أقبل

أن حبيبتي فاطمة الزهراء ، التي تزوجتها وقضيت معها أروع أسبوع في حياتي ، هي مخلوقة أخرى اسمها ، كما تقول الورقة ، عائشة؟ أليس المفترض أن تكون أسماء الجن غير أسماء الإنس؟ لم يكن بوسعي أن أروي قصّتي لأحد حتى لا أتّهم بالجنون . ولم يكن بوسعي ، بكل تأكيد ، أن أروي القصة لمحمد البطيني لأني أعرف ، على وجه اليقين ، أن تعليقه الفوري سيكون : «جنية؟! جيبها نسنّعها!»

بعد شهر كامل من الرقص على حافة الهاوية ، قرّرت أن ألقي بنفسي في خضمّ المجهول . انتهزت فرصة غياب زميل السكن في موعد ليلي ، وأقفلت باب غرفتي ، وبدأت أرتعد ، مصدقاً وغير مصدّق ، أنّه لم يبق ما يحول بيني وبين فاطمة الزهراء ، أو عائشة ، سوى ورقة وعود ثقاب .

-٥-

ورقة.. وعود ثقاب

أحـرقتُها . . ورميتُ قلبي

في صـــميـم ضـرامِـهــا

ناجي

في ليل لوس أنجلس الخريفي ، الرذاذ يداعب النافذة . وأمامي ورقة وعود ثقاب . وفي ذهني أفكار مشوشة تختفي . ويخاطب بعضها بعضًا . أنت! أنت يا ضاري الضبيّع! طالب الأنثروبولوجي المتفوق! كيف يخطر ببالك أن تقريب عود ثقاب من ورقة سيحضر لك فتاة مغربية ميّتة اختطفت شكلها وهويتها جنية؟! هل تريد أن تصبح أول باحث انثروبولوجي في التاريخ يعيش الأساطير التي يدرسها؟! عالم الأنثروبولوجي ، زوج الست . زوج الست الجنّية! هاه! هاه! هاه! بروفسور المستقبل ضاري الضبيع الذي يحرق ورقة لتجيئه من المغرب فاطمة الزهراء عائشة! طالب الأنثروبولوجي الذي كان يعتقد أن أسطورة «أم السعف والليف» تجسّد ، على نحو رمزي ، مقاومة الفلاحين أيام هجمت البدو الغزاة . الذي كان يعتقد أن «أم حمار» تعبير سريالي عن مخاوف الزوجات من المرأة التي ستختطف أزواجهن . الذي كان يعتقد أن «السعلاة» صورة رمزية للصحراء الجائعة التي تبتلع الذين يضلّون الطريق . الذي كان يعتقد أن «الدجيرة» رمز اخترعته الطبقة الكادحة للتعبير عن نقمتها على المستغلّين ، مصّاصي الدماء . الذي كان يستطيع إرجاع كل أساطير الجن وحكاياتهم إلى تربتها

الأنثروبولوجية العلمية . هذا الباحث الأنثروبولوجي يوشك ، الآن ، أن يتنكر للعلم ، وللطريقة المنهجية ، وللتفسير الموضوعي للأساطير . يوشك أن يصبح ضحية بريئة من ضحايا الأساطير . ضاري الضبيّع الذي سيحصل هذا العام على درجة البكالوريوس في الأنثروبولوجي ، وينوي الحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه في العلم نفسه ، ويتطلع إلى مستقبل أكاديمي باهر ، يوشك ، الآن ، أن يحرق ورقة بعود ثقاب وينتظر المعجزة ، ينتظر حدوث المستحيل . ماذا سيقول البروفسور جون ويليامسون إذا عرف أن تلميذه النجيب يظنّ أن ورقة محترقة ستزف إليه عروساً من عالم الجن؟! ماذا ستقول البروفسورة ماري هدسون لو باح لها بسرّه الغريب؟! «كنت أريد أن أثبت أن الأسطورة ليست سوى أسطورة . كنت أتحدى النزعة البدائية في أعماقي وأضعها أمام لحظة الحقيقة ، كنت واثقاً أن شيئاً لن يحدث . كيف يمكن أن يحدث شيء؟ هل تفهمني يا بروفسور؟!» . وماذا سيقول للبروفسورة ، أقرب الأساتذة إلى قلبه؟ «لا تتعجّلي في الحكم عليّ يا بروفسورة هدسون . كنت أتّبع الطريقة التجريبية التي تعلّمتها هنا في جامعتكم . كنت احاول الخلاص من وهم كاد يدمّر حياتي . أحرق الورقة ولا يحدث شيء ، وأبدأ في إرجاع الوهم إلى أصوله الأنثروبولوجية . هل فهمت ، يا بروفسورة؟! لم أكن ، حقاً ، أطمع في الاتصال بجنية . كنت أطمع في التخلّص من الجنون الذي صوّر لي أني عرفت فتاة ماتت ثم عادت ثم تزوجتها وقضيت معها أسبوعاً ، ثم اعترفت لي هي أنها ليست

هي! هلوسة ، بدون شك . وقدرة العقل على تصوّر ما يريده ويتمنّاه لا تعرف الحدود . هذا الفتى ، الذي عانى الغربة والحرمان الجنسي والفشل في العلاقات العاطفية ، كان يحلم بالمرأة التي ستنهي عذابه ، المرأة المثالية ، المرأة الأسطورية . سوف ينتهي كل شيء ، يا بروفسورة ، بمجرّد احتراق الورقة . سوف يعود إلى العالم اتزانه . سوف تعود الجن مخلوقات نارية لا تُرى ، ولا أعرف ، على وجه اليقين ، عنها سوى ما يقوله القرآن والسنة - والباقي أسمار وأباطيل . ها أنذا ، يا بروفسورة ، أوشك أن أقضي على الوهم البدائي مسلّحاً بعدة من عدد العلم الحديث ، عود الثقاب . العلم سيجعل الأسطورة تتطاير مع الدخان» . دع عنك هذا الكلام السخيف ، يا ضاري الضبيّع! آخر ما يهمك ، الآن ، هو رأي البروفسور أو رأي البروفسورة . ما يهمك ، الآن ، هو أن ترى فاطمة الزهراء ، مرّة أخرى ، لتخبرك أنها لم تمت ، وأنها هي التي استقبلتك في الزيارة الثانية وقضت معك الأسبوع التاريخي . حكاية عادية جداً ، بدون جبن أو مامبو/جامبو . ولكن ، لحظة!! كيف تجيء فتاة إنسية عادية من الدار البيضاء إلى لوس أنجلس بمجرد حرق ورقة؟! إعترفْ أنك ، على الرغم من كل دروسك الأنثروبولوجية والنفسية والعقلية ، تصدق أنك تزوجت جنّية . إعترف أن الحمّام لم يكن حمّاماً طبيعياً ، وأن غرفة النوم لم تكن غرفة طبيعية ، وأن العروس لم تكن عروساً طبيعية . إعترف أن كل شيء ، كل شيء بلا استثناء ، في ذلك الأسبوع الاستثنائي ، كان غير طبيعي ، وغير مألوف وغير معتاد . تذكر

ملامح الخال الذي بارك الزواج . هل كانت ملامحه طبيعية؟ ألم يكن البريق الساطع المنبعث من عينيه ظاهرة لم ترها من قبل إلا في عيون القطط في الظلام؟ وماذا عن الشيخ الذي عقد الزواج؟ أنسيت أسنانه المدبّبة التي كانت تبعث الرعشة في جسدك كلّما ابتسم؟ وماذا عن الشاهدين؟ ألم تلاحظ أنهما غادرا المكان بطريقة غريبة ، كما لو أنهما تبخّرا ، بغتة ، في الهواء؟ أدركت هذا بالغريزة ورفضت أن تصدّقه بالعقل . وعندما بدأت العروس تدلك ظهرك ألم تشعر أن هناك شيئاً غريباً يحدث؟ ألم تشعر بقطع صلبة ، لا تعرف كنهها ، تخرج ، بالفعل ، من ظهرك ، يحلّ محلها استرخاء لم تعرفه من قبل؟ إعترف ، يا ضاري الضبيّع ، إعترف! اعترف أنك تؤمن بوجود «أم حمار» غير «أم حمار» الأسطورة ، و«سعلوة» غير «سعلوة» الحكايات ، و«دجيرة» غير التي تسكن قصص الجدات . اعترف أنك ، منذ طفولتك ، كنت تقيم علاقة غامضة مع هذه المخلوقات ، خلال النوم ، أحياناً ، وخلال أحلام اليقظة ، أحياناً . لماذا كانت هذه المخلوقات ، بلا استثناء ، تتجنّب إيذاءك؟ آه ، يا ضاري الضبيّع! هذه ساعة الاعتراف! اعترف ، الآن ، أن جدك الرابع هو أول من حمل اسم الضبيّع . ما السبب ، يا ابن الضبيّع؟ ارو القصة ، يا ابن الضبيّع! كان جدّك هذا طفلاً عندما نسيته القافلة في الصحراء وسارت ، وعندما تنبّه الرجال إلى فقده ، وعادوا أدراجهم لم يجدوه في الموضع الذي كانت فيه القافلة . بحث رجال القافلة في المنطقة أربعة أيام بلياليها بلا جدوى . وعندما بدأوا يفقدون الأمل أبصروا

أنثى ضبع على مدخل كهف ترضع طفلاً تبين أنه جدّك . بقيت الضبع ترقب الرجال هادئة حتى أنهى جدك رضاعه . تركته ، ودخلت إلى الكهف ولم يرها أحد بعد ذلك ، حتى الذين فتشوا الكهف شبراً شبراً بحثاً عنها . «جنّية!» ، قالها الرجال ببساطة وانتهى الأمر . لم يكن بينهم باحث أنثروبولوجي يدرس في جامعة أمريكية ويفلسف وينظّر . كان وجود الجن ، أيامها ، وسط البشر شيئاً طبيعاً جدّاً . والضبع الجنية التي أرضعت طفلاً بشريّاً لم تكن شيئاً يستعصي على التصديق . حسناً! أيها الضبيّع ابن الضبيع! إعترف أنك تحمل في دمائك وخلاياك آثار الحليب الجنيّ ، بعد هذه الأجيال كلها . إعترف بقرابتك من الجن . إعترفْ أنك لم تكن ، قط ، بمنأى عن تأثيرات الجن . إعترف ، الآن ، بما حدث ذات ليلة باردة من ليالي الهفوف . كنت نائماً واستيقظت على صوت الحفيف والزفيف ، وكان كل من حولك نائمين . تسللت إلى النافذة ونظرت إلى الزقاق . إعترف أنك رأيت شيئاً ، وأن هذا الشيء ، بكل تأكيد ، لم يكن نخلة . كنت في الرابعة ، وطفل الرابعة تحت تأثير النوم والخوف والظلام ، قد يخلط بين الأشياء . ولكنك لم تخلط . رأيت امرأة دميمة عملاقة تنبت من رأسها قرون شبيهة بالسعف . لا زلت تذكر المرأة جيداً . تذكر «أم السعف والليف» في شكلها الحقيقي ، وتذكر أنها التفتت إليك ، وابتسمت ، ابتسمت ، يا ضاري الضبيع! لم تر نخلة ؛ النخل لا يبتسم . رأيت امرأة مخيفة ابتسمت لك . ولماذا ابتسمت لك؟ هل شمّت رائحة القرابة؟ والآن ، يا ضاري

الضبيع ، حانت ساعة القرار . إما أن تمزق الورقة وتفقد إلى الأبد صلتك بفاطمة الزهراء / عائشة ، الحب الوحيد في حياتك ، وإمّا أن تحرق الورقة ، ويحدث ما يحدث .

بيد مرتجفة أشعلت الثقاب وقرّبته من الورقة وبدأت أرقب الدخان الأزرق الكثيف الذي انبعث ، فجأة ، من الورقة وملأ جوّ الغرفة .

-٦-

حكايات الجنّي قنديش بن قنديشة

انفردنا ، أنا والقلب ، عشيّا
نتسج الآمال والنجوى سويّا
فركبنا الوهم .. نبغي دارها
وطوينا الدهر .. والعالم .. طيّا

ناجي

كنت أرقب الدخان الأزرق وأستنشق رائحته العطرية النفّاذة عندما شعرت بأجفاني تسترخي، ثم بجسمي كله يسترخي، واستسلمت للنوم. بعد فترة لا أدري طالت أم قصرت، فتحت عينيّ فإذا بي أجد أمامي في الغرفة شاباً، في سني أو أكبر بقليل، يرتدي ثياباً غربية، وله ملامح عربية، سعودية تحديداً (هذا إذا كانت هناك ملامح عربية، سعودية تحديداً، وهذه مقولة غير أنثروبولوجية!). بمجرد أن فتحت عينيَّ قدم الشاب لي قرصاً صغيراً شبيهاً بأقراص الأسبرين وطلب مني أن أبتلعه. فعلت ما طلبه بلا تردد. ابتسم الشاب، وقال: «كيف حالك؟ كيف تشعر؟». قلت: «الحمد للّه. كل شيء على ما يرام. ما هذا القرص الذي ابتلعته»؟ قال: «من العبث أن أشرح لك المواد الداخلة في تركيبه لأنها لا توجد في عالمكم». قلت: «عالمنا؟ ماذا تقصد؟». قال: «أقصد عالم الإنس». قلت: «وأنت...». قاطعني: «سأجيب عن كل أسئلتك. القرص الذي تناولته يحتوي على مواد مهدّئة من نوع خاص تجعلك قادراً على التعامل مع مواقف جديدة غريبة». قلت: «مواقف جديدة غريبة؟ ماذا...». قاطعني ثانية: «قبل أن نواصل الحديث، من

الأفضل أن نغادر الشقّة . لا أريد أن يأتي زميلك وأنا هنا» . قلت : «لا يزال الوقت مبكراً» . قال : «الساعة تقترب من منتصف الليل» . قلت : «منتصف الليل؟! هل نمت ثلاث ساعات؟!» قال : «هذا ما يبدو . أليس كذلك؟!» . قلت : «وإلى أين تريد أن نذهب؟ لا يوجد في لوس أنجلس أماكن مفتوحة هذه الساعة سوى . .» . ضحك ، وقال : «علب الليل والحانات والمطاعم التي تعمل على مدار الساعة . هذه ليست أماكن مناسبة للحديث . تعال معي إلى الفندق» . قلت : «أي فندق؟» . قال : «البيفرلي هلز» على مرمى . . .» . قاطعته : «أعرف المكان» . قال : «حسنٌ! فلنذهب إليه . قد تتأخر . اترك لزميلك رسالة حتى لا يقلق» . تركت على باب غرفة البطيني رسالة تقول إني سوف أقضي الليل مع صديقة . فليتحرق حسداً! ذهبنا في سيارتي إلى الفندق وهناك أخذني إلى جناح فاخر ، يبدو أنه أكبر الأجنحة في الفندق . قال : «ماذا تريد أن تشرب؟» . قلت : «بيبسي» . قام إلى البار الضخم وعاد بقارورتين من البيبسي كولا وكأسين ، وقال : «من أين تريد أن نبدأ؟» . قلت : «من البداية ، كما يقولون . أين عائشة؟» . ضحك وقال : «بدأت من النهاية . ألا تريد أن تتعرف عليّ؟» قلت : «يسرني أن أتعرف عليك» . قال : «أنا أخوك الجنيّ قنديش بن قنديشة» . قلت : «أهلاً وسهلاً! من يراك يظنك شاباً عربيّاً» . قال : «لم يكن من اللياقة أن أزور شاباً عربياً بهيئة غير عربية» . قلت : «شكراً!» . قال : «وهذا الاسم ، بطبيعة الحال ، اسم حركي . أسماء الجن التي توجد في كتبكم الصفراء ، من

أولها إلى آخرها ، وهمية . لا يوجد جن أسماؤهم كلياش ووكلوش وبيطوش ، وبقية هذه السخافات . حقيقة الأمر أنكم ، إخواننا معشر الإنس ، لا تستطيعون نطق أسمائنا الحقيقة لأن لهواتكم وحناجركم وحبالكم الصوتية غير مهيّأة للنطق بها . كان لا بدّ قبل مجيئي إلى عالم الإنس من تبني اسم حركي يسهل على الإنس النطق به . وتطوعت الخالة عيشة قنديشة التي أصبحت زوجتك فيما بعد . . .» . وهنا لم أتمالك نفسي من الصراخ : «لحظة! لحظة! اسمها عيشة قنديشة؟! ما معنى قنديشة؟!» . قال : «عيشة هو الاسم الدارج للخالة أما قنديشة فهو اللقب الذي اشتهرت به في المغرب مقرّ إقامتها» . قلت : «ما معنى قنديشة؟» . قال : «هذه قصة تطول . اعتبره مجرد لقب كأي لقب آخر» . قلت : «ولماذا تسميها الخالة وهي أصغر منك؟» . قال : «الحقيقة أنها أكبر مني ولكنها تستطيع أن تظهر بالشكل الذي تريده ، وفي السن التي تختارها ، كما رأيت بنفسك» . قلت : «وكم عمرها؟» . قال : «دع هذا السؤال إلى وقت لاحق . دعني ، الآن ، أروي لك حكايتي» . قلت : «تفضّل!» . قال : «اعلم ، يا أخي ضاري ، أني منذ نعومة أظافري ، والحقيقة أن أظافري لم تكن ناعمة قط ، ولكني أستخدم التعابير الشائعة لديكم ، وأنا في شوق وتوق لمعرفة كل شيء عن عوالم الإنس . ودفعتني هذه الرغبة إلى القراءة بتوسّع في كتب الإنس واستقصاء أخبارهم ونوادرهم ومآثرهم وأيامهم من الجن المستأنسة . . .» . قاطعته : «عفواً ، أخي قنديش! ما المقصود بالجن المستأنسة؟» . قال :

«الجني المستأنس هو الجني المؤهل أكاديمياً وجسدياً وعقلياً ونفسياً لزيارة عوالم الإنس وإقامة مختلف العلاقات معهم ، دون الحاجة إلى ڤيزا أو إقامة أو رخصة عمل أو كفيل أو إذن من الجهات المختصّة ، الجنّية أو الإنسية . والحصول على مرتبة جني مستأنس يحتاج إلى مجهود كبير جداً . . .» . قاطعته : «ولماذا نشأت لديك هذه الرغبة في التعرّف إلى عوالم الإنس؟» . ابتسم قنديش وقال : «لهوى النفوس سريرة لا تُعلم» ، كما قال شاعرنا الجنيّ ونقله ، بعد ذلك ، عن لسانه ، شاعركم المتنبي . وهنا لا بدّ أن أتوقّف لأؤكد لك أن مصدر الشعر الوحيد هو عبقر ، وعبقر منطقة تجارة حرّة في عالم الجن . كان شعراؤكم في الجاهلية يعترفون بهذه الحقيقة ، ويفاخرون بها ، ويجاهرون بوجود شياطين تنفث الشعر في روعهم ، وكانوا لا يستطيعون نطق أسمائهم فأطلقوا عليهم أسماء حركية مثل لافظ ومسحل وهميم . بل إن الشعراء في الجاهلية كانوا يلقبون أنفسهم «كلاب الجن» اعترافاً بفضل الجن عليهم . فيما بعد ، يا أخي ضاري ، جاءت صدمة الحداثة ، وبدأ شعراء الإنس يتحدثون عن المعاناة والتجربة والقلق الوجودي والبنيوية ، ونسوا أن كل الصرعات الشعرية من إنتاج عبقر ، بدأً بالمعلقات فالموشحات فشعر التفعيلة ، فشعر النثر . . .» . قاطعته : «عــفــواً ، أخي قنديش! أنا لا أدرس الأدب ؛ أنا أدرس الأنثروبولوجي . كنت أسألك عن سبب اهتمامك بعوالم الإنس» . قال : «معنا الليل كله ، أو نصفه على الأصح . وقد لاحظت أن الاستطراد عادة متأصلة في جميع الإنس الذين

عرفتهم ، ولهذا فأنا أستخدم أسلوب الاستطراد في حديثي معك . ولعي بعوالم الإنس له سببان ، أولهما هوى النفوس الذي لا يشرح ولا يفسر . أما الثاني فالمعاملة بالمثل» . قلت : «المعاملة بالمثل؟ ماذا تقصد؟» . قال : «لاحظت أن لديكم ، معشر الإنس ، حب استطلاع لا ينتهي يدفعكم إلى الهوس بالجن وعوالمهم . وأكبر دليل على ذلك انتشار الكتب التي تزعم أنها تعلم تحضير الجن بينكم انتشاراً يفوق انتشار كتب الرياضيات والفلسفة والطبيعة والتاريخ مجتمعة . على سبيل المثال ، يا أخي ضاري ، شاهدت في شارع جانبي صغير من شوارع بيروت طابوراً طويلاً مصطفاً أمام مكتبة أكل الدهر عليها وشرب لشراء مجلّد اسمه **منبع أصول الحكمة** ، تأليف الإمام الحكيم أبي العباس أحمد بن علي البوني ، وفي هذا المجلّد من خرابيط الإمام الحكيم وهلوساته ما يشيب له شعر الإنس والجن . ومن هذه الخرابيط قوله إنه يمكن «استخدام الخدم الحكام على قبائل الجن» ، ويشرح الطريقة للقارىء المغفل فيقول : «يأخذ اسم ذلك الخادم المطلوب ويوضع اسمه بالمركب العددي ، ويجمع أعداد تلك الحروف التي وضعت بالمركب العددي وتؤخذ في طابع مناسب لذلك الخادم ، وتؤخذ تلك الحروف الأولى إلخ . . . إلخ . . . إلخ» . . وفي القاهرة ، يا أخي ضاري ، وجدت الناس يتدافعون أمام مكتبة متهالكة في باب الخلق لشراء كتاب اسمه **السرّ المظروف في علم بسط الحروف** للشيخ محمد الشافعي الخلوتي الحنفي . ويزعم مؤلفه ، سامحه اللّه ، أن كتابه يحتوي «ما يحتاج إليه الإنسان في كل

وقت وأوان من قبول ومحبّة وعطف ومودة ، وألفة وتسخير وبغضاء وفرقة ، وخراب الأمكنة والدور والقصور ، والنصر على الأعداء» .

ولا شك في أن المؤلف كـان غـريبـاً بعض الشيء وإلاّ لما صـار شافعياً حنفياً ، أما كونه خلوتياً فشيء لا نعرفه لا نحن ولا أنتم . وإذا كنت تستغرب ، يا أخي ضاري ، هذا الهوس فسوف أزيدك من الشعر بيتاً وأقول إنه حتى في الرياض ، حيث تعلن الهيئة الطوارىء على مدار السنة ترصداً للمشعوذين والسحرة ، حتّى في الرياض وجدت عدداً كبيراً من مواطنيك يتخاطفون كتاباً اسمه **الدرة البهيّة في الأسرار الروحانية** للشيخ محمد بن علي الطندتائي ، أي القـادم من طندتا وهي لغـة في طنطا ، أي الطنطاوي . وفي هذا الكتـاب يزعم الطندتائي أنه يمكن فك المسحور إذا ردّد الإنسان : «يا شاطليش أطارش كارش فيرش غيدش كياش» . حسبه اللّه تعالى هذا الطندتائي الكذوب!

واعلم ، يا أخي ضاري ، أني قررت بعد أن أصبح جنيّاً مستأنساً أن أكتب لبني جلدتي كتاباً عن رحلاتي ودراساتي في عالم الإنس يشبه ، إلى حد ما ، الكتاب الذي وضعه عندكم ابن بطوطة عن رحلاته . هل قرأت الكتاب؟» . قلت : «سمعت عنه ، وأعرف خلاصته ، ولكني لم أقرأه» . قال : «إعلم ، يا أخي ضاري ، أن كتاب بن بطوطة مسلٍّ جداً ، ومليء بالمعلومات النافعة . وقد كان الرجل نسونجيا من الطراز الأول ، يتزوج في كل مكان يحل به ولا يبالي ، ويتسرّى بالجواري ، ولا يبالي ، ويترك زوجاته وسراريه وأولاده وبناته إذا عنّ له أن يسافر ، ولا يبالي .

كما أنه كان طماعاً جداً يتوقّع الشرهة من كل سلطان يقابله ، وكان يقابل سلطاناً بمعدل مرتين في الشهر . وعلى الرغم من أن اللصوص نبهوه مراراً وتكراراً إلا أنه كان ، دائماً ، يجد سلاطين يشرهونه ويغتني من جديد . وفي الكتاب ، بالإضافة إلى الأشياء النافعة ، الكثير من الخرطي . ومن الخرطي المتكرر أنه حيثما يذهب يلقى وليّاً صالحاً من أولياء اللّه «ينفق من الكون» ، ومعنى ذلك أن الولي يقعد بلا شغل ولا مشغلة ، وعندما يريد شيئاً يمد يده في الهواء فترجع مليئة بالدولارات . وهذا كذب شنيع إذ لا يوجد من يمد يده في الهواء فترجع مليئة بالدولارات سوى عملاء «السي . آيه . إيه» . وهذه المحترمة لم تكن موجودة أيام ابن بطوطة» . قاطعته ، بشيء من الخوف وأنا أتلفت في أرجاء الجناح : «أخي قنديش! أرجو أن تغيّر الموضوع» . ضحك قنديش ، وقال : «لا تخف! لا توجد ميكروفونات مزروعة . كنت أقول إن السي . آي . إيه لم تكن موجودة أيام ابن بطوطة . في ذلك الوقت كانت القارة تعج بالجواميس البريّة والسكان المحليين ، الذين تحول اسمهم في ما بعد إلى الهنود الحمر . جاء المستوطنون الأوائل وقرروا أن الجواميس البرية والهنود الحمر محور شر يجب استئصاله . وتم الاستئصال بفعالية نادرة . قبل وصول العم كولمبس إلى ما كان يعتقد أنه الهند ، كان عدد السكان الأصليين يتراوح ما بين ثلاثين إلى أربعين مليون نسمة ، حسب تقديرات مؤرّخي الجن ، أما عددهم ، اليوم ، فلا يتجاوز ربع مليون . وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على نجاح الأمريكان الأوائل نجاحاً باهراً

في نشر المبادىء الديمقراطية واقتصاديات السوق ، والجدري والسفلس والويسكي والمسيحية بين القبائل البدائية . أما الجواميس البرية ، وكان عددها لا يقل عن عدد السكان الأصليين ، فقد ذبحت ذبحاً جماعياً حتى لم تبق سوى بقايا من بقاياها تركت من باب الحفاظ على التراث والأصالة . . .» . وهنا لم أتمالك نفسي فقاطعته بغضب : «أخي قنديش! أنا ضيف في هذه البلاد ، أرى أهلها ويرونني ، ولست جنيّاً مثلك ، وأنا لا أسمح لنفسي بالاستماع إلى هذا الهجوم على دولة استضافتني وعاملتني معاملة طيبة وسمحت لي بالدراسة فيها . ثم إنك من فصيلة الجن ولا أدري ما علاقتك بالأوضاع في أمريكا ، سواء أعجبتك أو لم تعجبك . لدينا مثل إنسي يقول : «من دخل في ما لا يعنيه ، لقي ما لا يرضيه» . ثم إني أريد أن أعرف متى سأرى فاطمة الزهراء ، أعني عائشة ، أعني . . .» . ضحك قنديش ، وقال : «لم يبق إلا أن تمد يدك وتنفق من الكون! يبدو أنك بدأت تتعب . خذ هذا القرص ، ونم . حين تصحو سأواصل الحديث وأخبرك كيف أصبحت من الجن المستأنسة» . ابتلعت القرص ، ولم يكد يتجاوز حلقي حتى استغرقت في نوم عميق .

-٧-

المزيد

من حكايات قنديش بن قنديشة

آه من ساعةِ بث وشجونْ
ولقاءٍ . . لم يكن لي في حسابْ

وحديثٍ لم يَدرْ لي في الظنونْ
يا طويل الهجر . . يا مرَّ الغيابْ!

ناجي

بمجرّد أن فتحت عينيّ نظرت إلى الساعة . قال قنديش : «لا زلنا في الثالثة . لم تنم كثيراً هذه المرّة ولكنك أخذت قسطاً من الراحة يكفيك بقية الليلة والنهار بأكمله» . قلت : «كنت تحدثني عن ولعك بعوالم الإنس» . قال : «نعم ، بدأت رحلتي للوصول إلى مرتبة جنيّ مستأنس بالالتحاق ببوليتكنيك لدراسة النوع البشري . قضيت هناك سنوات طويلة ، بمقاييسكم . وبعد تخرجي التحقت بالبرامج الخاصة المطلوبة للإعداد لامتحان الجن المستأنسة . البرنامج الأول يعلم تغيير الشكل ، بمعنى الظهور في الشكل الذي يريده الجنيّ . أنتم ، يا أخي ضاري ، تعتقدون أن كل الجن يستطيعون أن يظهروا في شكل إنسي ، وهذا وهم من أوهامكم التي لا تنتهي عنا . الحقيقة هي أن بعض الجن يستطيعون الظهور في شكل حيوانات أو جمادات ، بعد شيء من التدريب . أمّا الظهور في شكل إنسي ، والحديث بلغة إنسية ، وتقمّص صفات الإنس وعاداتهم فأمر لا يستطيع القيام به سوى صفوة الصفوة ، من الذين تلقوا تدريباً نظرياً وعملياً شاقاً . غالبية الجن لا تستطيع أن تغير شكلها الأصلي - ولهذا فأنتم لا تستطيعون أن تروهم . أما البرنامج الثاني فموضوعه حساس بعض

الشيء . أخشى أن . . .» . قاطعته : «تكلم ولا تخشَ شيئاً» .
قال : حسناً! موضوعه كيفية مطارحة الجني بنات الإنس الهوى .
هذا أيضاً أمر أنتم تسيئون فهمه . أنتم تعتقدون أن بوسع كل
جني معاشرة كل إنسية جنسياً ، وهذا اعتقاد لا أساس له من
الصحة . لا يستطيع الجني القيام بهذا العمل إلاّ بعد تدريبات
طويلة وشاقة . تكنيكات الوصال في العالم الإنسي تختلف
جذرياً عن تكنيكاته في عالمنا . والأمر نفسه يسري على الجنيّات
الراغبات في معاشرة ذكور الإنس . وهناك نقطة مهمة جداً
تجهلونها ، وهي أنه لا توجد سوى نسبة ضئيلة جداً من البشر
يمكن أن يطارحهم الجنيّ أو الجنية الهوى ، والأمر يتعلق
بالجينات» . قلت : «ماذا تقصد؟» . قال : «يصعب علي شرح
الموضوع وأرجو أن تصدقني دون دخول في التفاصيل . وبالمناسبة ،
تنطبق القاعدة نفسها على الجن : نسبة ضئيلة منهم هي المهيأة
لتبادل الجنس مع الإنس» . قلت : «وهل لديكم جينات؟» .
ابتسم وقال : «ما دام هناك تناسل فهناك جينات . إلاّ أنها من نوع
يختلف تماماً عن جيناتكم .» قلت : «حسناً! وأنا من النسبة
الضئيلة جداً؟! من المحظوظين جداً؟!» . ابتسم قنديش بدوره
وقال : «هذا ما يبدو . أليس كذلك؟ . فلنعد إلى البرامج .
البرنامج الثالث محوره القوانين الإنسية ، والرابع العرف والعادات
عند الإنس ، والخامس عن النكت والألاعيب والمقالب الإنسية ،
والسادس عن الأزياء والهندام عند بني آدم ، والسابع عن
تنظيماتكم السياسية والاجتماعية ، والثامن عن طعامكم

وشرابكم ، والتاسع عن الجراثيم والأمراض الإنسية . أما البرنامج
العاشر ، فهو أطولها وأشقها ، إذ يجمع ما تقدم كله عبر دراسة
تاريخ الإنس . بعد أن اجتزت هذه البرامج كلها أصبحت مستعداً
لدخول الامتحان الشامل الذي يقود إلى مرتبة جني مستأنس .
بعد امتحان شاق عسير ، دام تسعة شهور ، بمقاييسكم ، ظفرت
بدرجة جنيّ مستأنس ، مع مرتبة الشرف الأولى ، وتبادل
الأطروحة مع جامعات العالم الجني . هاه! هاه! أنا أمزح ، بطبيعة
الحال . لا توجد لدينا مرتبة شرف ولا مرتبة قطن ، ولا أطروحة
ولا طرّاحة ، ولكنني أداعبكم بسخافاتكم ، وأرجو أن يجيء
كلامي خفيفاً على قلبك» . حدجته بنظرة غاضبة ، وقلت :
«أكمل!» . قال : «بقيت المرحلة الأخيرة قبل انطلاقي إلى
عالمكم . وهي حفظ الوصايا العشر في التعامل مع بني آدم» .
قلت بلهفة لم أستطع إخفاءها : «ما هي هذه الوصايا؟» . وقال :
«أفضّل عدم إخبارك فقد تغضب عندما تسمعها» . قلت :
«جرّبني!» . قال : «حسناً! سوف أبدأ بالوصية الأولى ، أما بقية
الوصايا فسوف أتركها للظروف» . قلت : «هات!» . قال : «الوصية
الأولى ، والأساسية ، تقول : لا شيء يؤذي الإنسي مثل
الحقيقة ، ولا شيء يسعده مثل الوهم» . قلت غاضباً : «هذا
كذب وافتراء رخيص و . . .» . قاطعني : «ألم أقل إنك
ستغضب؟ تذكر ، يا أخي ضاري ، أن الإنس ، عبر تاريخهم
الطويل ، لم يستقبلوا نبيّاً واحداً من أنبياء اللّه الكرام عليهم
السلام بالبشر والترحاب ، على الرغم من أن كل نبي جاء يبلغهم

أهم حقيقة كونية ، وهي وجود الخالق ووحدانيته . قابلتم الأنبياء ، يا أخي ضاري ، بالتكذيب والسخرية والوعود والتهديد ، وحاولتم حرقهم وطردهم وتآمرتم عليهم ، وبنو إسرائيل أمعنوا في أنبيائهم قتلاً وذبحاً ، نسأل السلامة . وهكذا تجد . .» قاطعته : «حسناً! فهمت الوصية الأولى . هل من الممكن أن تحدثني ، الآن ، عن عائشة؟» . قال : «سبحان الله! هل تستطيع قراءة أفكاري؟ بالمناسبة ، الجن لا يستطيعون قراءة أفكار الإنس ، ولكنهم يستطيعون قراءة أفكار بعضهم البعض . كنت على وشك أن أحدثك عن الخالة . عندما أنهيت كل استعداداتي لدخول العوالم الإنسية ، طلبت مني الخالة أن أبدأ بزيارة المغرب» . قلت : «لماذا المغرب ، بالذات؟» . قال قنديش : «سألت الخالة هذا السؤال وكان جوابها أن المغرب بلد مضياف جداً ، بل لعله أكثر بلاد الدنيا ترحيباً بالضيوف . وقد تعوّد أهله على الجن عبر العصور ، ونشأ بين الطرفين نوع من التعايش السلمي تطوّر إلى نوع من المودة المتبادلة . وأضافت الخالة أن الجن لا يحبون زيارة الجزائر خوفاً من الشاهقات الخارقات المبرقات المرعدات . ولا يحبون زيارة موريتانيا حيث يوجد مليون شاعر يقتلون الإنس والجن قتلاً بأشعارهم . ويتجنبون زيارة مصر حتى لا تعتقلهم المخابرات بتهمة التآمر على أمن الدولة . ويصعب عليهم زيارة العراق حتى لا يدفنون في مقابر جماعية . ويتجنبون لبنان حتى لا يمصّهم اللبنانيون مصّ الليمون ، كما يفعلون بالسّواح . ولا يريدون زيارة بلدك خوفاً من الهيئة ، ولا يفضلون . . .» . قاطعته : «حسنٌ!

حسنٌ! فهمت!» . قال : «خرجت من عوالم الجن إلى كراج مهجور في المحمدّية ، وهي مدينة بين الدار البيضاء والرباط ، ووجدت الخالة في استقبالي . ضمتني إلى صدرها وهي تردد . . .» . قاطعته : «هل كانت عائشة في شكلها الحقيقي أم في هيئة بشرية؟» . قال : «كانت في شكل امرأة في الأربعينات من العمر ، ترتدي لباس المغربيات الريفي ولا يثير شكلها انتباه أحد ، وكنت في هيئتي هذه التي تراها . ضمتني الخالة إلى صدرها وهي تردد : «شحيمة! شحيمة!» . قلت مذهولاً : «يا خالة! هل يوجعك شحمك! وكيف كان هذا وأنا لم أتعلم في أي برنامج من البرامج التي درستها أن الإنس يمكن أن تصيبهم أوجاع في شحومهم؟» . قالت الخالة : «هذه كلمة تدليل تستخدمها النساء في المغرب وأستخدمها بحكم العادة» . قلت : «يا خالة! أرجو إعفائي من هذا الدلال الشحمي!» . قالت : «واخا! كبيدة! كبيدة!» . قلت : «يا خالة! ماذا دهى كبدك؟ لا تقولي لي رجاء إن الجن المستأنسة يمكن أن يصابوا بتليّف الكبد» . ضحكت الخالة ، وقالت : «وهذه – بدورها – كلمة تدليل . المقصود أنك عزيز عليّ مثل كبدي» . قلت : «واحسرة على الجن! لا يعرفون الغزل ولا الدلال . يا خالة! هل يستخدم الإنس جميع أعضاء جسدهم عندما يريدون تدليل أحد؟!» . قالت : «لا ، يا وليدي . هم يستخدمون العين فيقولون : «يا عيني!» . أو «يا عيوني!» . ويستخدمون القلب فيقولون : «قلبي!» . أو «بعد قلبي!» . ويستخدمون الروح ، مع أنها ليست عضواً ،

فيقولون : «يا روحي!» ، أو «يا بعد روحي!» وإذا تحذلق متحذلق
من شعرائهم أو أدبائهم قال : «يا روح الروح!» . قلت : «يا خالة!
هذا شيء عجيب لم يمرّ عليّ في دراستي . وماذا عن الأيدي
والأرجل والرؤوس والأعضاء التناسلية؟» . ضحكت الخالة ،
وقالت : «لم أسمع إنسياً يستخدم هذه الأعضاء للتدليل ، إلا أن
الإنس يستخدمون الرأس للقسم . فيقولون : «وراس أبوي!» أو
«وراسك!» . وعندما تسمع إنسياً يقسم برأس أبيه فتأكد أنه
كاذب في ٩٩٪ من الحالات ، أما عندما يقسم برأسك فتأكد أنه
كاذب في ١٠٠٪ من الحالات . وعلى ذكر «وراس أبوي» إعلم ، يا
وليدي ، أن الإنسيات الخليجيات مستعدات للتضحية بآبائهن
في حالة العشق» . قلت : «كيف ، يا خالة؟» . قالت «تقول
الواحدة منهن لرجلها : «فديتك بأبوي!» أو : «بعد أبوي!» أو
باختصار : «أبوي!» . إلا أن رجال الإنس الخليجيين لا يقابلون
هذه العاطفة بمثلها فلم يعهد عن إنسي خليجي أنه قال لحبيبته
«فديتك بأبوي!» . قلت : «وما السبب ، يا خالة؟» . قالت :
«السبب ، واللّه أعلم ، أن الخليجيين يخافون آباءهم حتى عندما
يصبحون رجالاً ، فلا يجرؤ الواحد منهم على ذكر أبيه في سياق
العشق ، أما الخليجيات عندما يعشقن فلا يخفن أحداً ولا يبالين
بأحد» . في هذه الأثناء ، يا أخي ضاري ، وصلنا إلى فندق قديم
متهالك كان يوماً ما أفخم فنادق المحمدية ثم أخنى عليه الذي
أخنى على لبد . عندما دخلنا فوجئت أن ما يبدو طللاً من الخارج
هو من الداخل قصر مؤثث ، بعناية وذوق ، يسكنه عدد من الجن

المستأنسة لكل منهم جناح فاخر . عرفتني الخالة على جنيّ
مستأنس ، اسمه الحركي سيدي مأمون ، وهو ، في شكله
الإنسي ، رجل ضخم أسمر اللون مفتول العضلات ، لا يخلو من
وسامة بدائية . وقدّمتني إلى جنية مستأنسة اسمها للاّ ميرة
وهي ، في شكلها البشري ، شقراء حسناء خضراء العينين ، نحيلة
جذابة على طريقة عارضات الأزياء . وعرفتني على جنيّة
مستأنسة ثانية اسمها للاّ مليكة وهي ، في هيأتها الإنسانية ،
أمرأة ناضجة مكتنزة الشفتين ، عارمة النهدين ، عبلة الساقين
والفخذين ، من النوع الذي يحلم به العرب العاربة في الفيافي
والوديان» . وأضافت الخالة : «يا وليدي! سيدي مأمون يهوى
الإنسيات ، وللاّ مليكة تهوى رجال الإنس ، أما للاّ ميرة فتهوى
نفسها ، وتبتلي الإنسيات بعشق أنفسهن فلا يفارقن المرآة . وأنا
أحاول علاج الجميع من هذه النزعات حتى لا يتأذى أحد من
رجال الإنس أو نسائهن» . قلت : «يا خالة! ما هذا الاستقبال
الجنسي الحافل؟! لقد جئت للتعرّف على عوالم الإنس ولم أجيء
لمقابلة نجوم الجنس» . ضحكت الخالة وقالت : «إعلم ، يا قنديش ،
أن إخواننا الإنس لا تشغلهم سوى أمور ثلاثة هي ، حسب
الترتيب ، الجنس فالسلطة فالمال . ولما كان الجنس أهمّها على
الإطلاق ، رأيت من المفيد أن تبدأ دراستك بمعرفة علاقة الإنس
بالجنس» . قلت : «يا خالة! وما السرّ في ولع الإنس بالجنس؟» .
قالت : «يبدو ، واللّه أعلم ، أن الجنس مغروس في فطرة أبناء
الطين جميعاً ، ومن دون استثناء ، لا فرق بين ذكر وأنثى ، أو

عربي وعجمي ، أو هندي وأمريكي ، أو غنيّ وفقير ، أو متدين
وغير متدين» . قلت : «لا! لا! متدين وغير متدين؟! هذه قويّة!» .
ابتسمت الخالة ، وقالت : «هناك ، بطبيعة الحال ، فارق في
الشكل القانوني . الإنسي المتدين لا يمارس الجنس إلا عن طريق
الزواج ، أو التسري بالجواري ، يوم كان التسرّي بالجواري موجوداً .
أما الإنسي غير المتديّن فيمارس الجنس مع الجيرل فرندز ومع
العواهر والفواجر ، ومن هبت ومن دبت» . قلت : «هذا شيء
عجيب لا يوجد في عالم الجن ما يماثله» . قالت : «إعلم ، يا
قنديش ، أن الإنسي يصبح علقة مخلّقة في مكان جنسي هو
الرحم ، يقضي فيه تسعة شهور ثم يخرج من مكان جنسي آخر ،
ثم يرضع من عضو جنسي هو النهد . وتخرج فضلاته من مكانين
جنسيّين . ويبدأ الذكور ، وعدد من الإناث ، مشوار الحياة بقطع
جزء من العضو الجنسي . .» . وهنا قاطعت قنديش بحدّة لم
أستطع إخفاءها : «أخي قنديش! لم كل هذه الثرثرة؟ لم تقصّ
عليّ كل هذا؟ ما علاقتي أنا بهذا؟» . ابتسم وقال : «أنتم ، لا
نحن ، الذين تقولون «الحديث ذو شجون» . فلنعد إلى الخالة .
ذكرت لي الخالة قصتها معك وأضافت أنك تستطيع مساعدتي
على فهم عوالم الإنس . وكلفتني بمهمّة حساسّة ودقيقة» . قلت :
«ما هي هذه المهمة؟» . قال : «فلنؤجل الحديث عنها قليلاً .
أخبرني ، الآن ، هل صحيح أن الجنس هو أهم مؤثّر في حياة
الإنس؟» . قلت : «أخي قنديش! تعلّمت في الجامعة أن البحث
العلمي يختلف عن الانطباعات العابرة والتعميمات المطلقة» .

قلت : «إذن ، فأنت تعتقد أن المقولة غير صحيحة؟» . قلت : «أنا
أعتقد أن معظم التعميمات فيها جانب من الصحة وجانب من
الخطأ . والأهمّ من ذلك أن التفسير الذي يشرح كل شيء لا
يشرح شيئاً» . قال : «كيف؟» . قلت : «لنأخذ الجنس ، على
سبيل المثال . إذا قلت إن جميع الإنس محكومون بغريزة الجنس
لم تحقّق شيئاً ذا بال . هذا تعميم لا يختلف عن قولك إن الإنس
لا يستطيعون العيش بلا طعام أو ماء أو هواء . إذا أردت الوصول
إلى فهم دقيق لظاهرة ما فعليك أن تتبع أسلوب البحث العلمي» .
قال : «كيف؟» . قلت : «لنأخذ مثلاً بسيطاً . إذا أحضرت لي
عشرة رجال وقلت إن الجنس يتحكم في تصرفاتهم لم أعرف إلاّ
أقل من القليل عنهم . ولكن إذا بدأت أجري مقابلات في العمق
مع كل واحد منهم ، مقابلات قد تستغرق أياماً وقد تستغرق
أسابيع ، فسوف أصل إلى نتائج أكثر دقّة . أستطيع أن أقول لك إن
الرجل رقم (١) مصاب بالعنّة ولا يمارس الجنس على الإطلاق .
وإن الرجل رقم (٢) لديه طاقة جنسية غير معتادة . وإن الرجل
رقم (٣) لديه طاقة جنسية معتدلة ، وهلمّ جرّا . بهذه الطريقة
أستطيع أن أتبيّن أثر الجنس في حياتهم . ولو استطعت وضعهم
في مختبر . . .» . قاطعني : «ما هذه العقد؟! العلم ، عندنا ، يتمّ
بالحدس ، ولهذا سبقناكم ، علمياً ، بقرون عديدة» . قلت : «لا
أدري عنكم . العلم ، عندنا ، يبدأ بالجزيئات الصغيرة ، التي
توصلنا ، في بعض الحالات ، إلى القوانين العامة . عندنا ، لا
حدس في العلم . الحدس يقتصر على الأمور الكليّة التي لا يمكن

نفيها أو إثباتها علمياً . أخبرني ، رجاءً ، عن المهمة» . قال : «طلبت مني زوجتك أن أبحث معك تفاصيل حياتكما الزوجية ، السعيدة بإذن الله» . شعرت برعشة تسري في جسدي كله وقلت : «زوجتي؟! حياتنا الزوجية؟!» . قال : «هل نسيت؟ ألم تتزوجها على سنة اللّه ورسوله بموافقة وليّها وحضور شاهدين وبمهر قدره عشرة دولارات سياحية؟» . قلت : «كنت أعتقد أنني أتزّوج فاطمة الزهراء» . قال : «هل ورد ذكر فاطمة الزهراء في كلام الشيخ الذي عقد القران؟» . قلت : «لا أذكر» . قال : «بل تذكر! لم يرد اسمها على الإطلاق . قال الشيخ «زوجتك هذه البنت» . العقد صحيح والزواج قائم وزوجتك تودّ أن تبحث تفاصيل العلاقة الزوجية» . قلت مذهولاً : «لم أفهم» . قال : «أعتقد أنك تفهم جيداً . كان لديك الخيار . كان بإمكانك أن تنسى كل شيء وتمزّق الورقة . إلا أنك اخترت أن ترى زوجتك من جديد» . قلت محتداً : «كُف عن تسميتها زوجتي ، رجاءً!» . قال : «كما تشاء . اخترت أن ترى عيشة . ألم تحرق الورقة؟ ألم يكن هذا بمثابة اعتراف أنك لا تستطيع العيش بدونها ، وأنك ترغب في رؤيتها؟» . قلت : «لا أستطيع العيش بدونها؟ متى قلت هذا؟» . قال : «لو استطعت العيش بدونها لما أحرقت الورقة . اسمع ، يا أخي ضاري! الخالة متفهمة جداً ، وعاقلة جداً ، ومرنة جداً . وهي تعرف أنه يستحيل أن تقوم بينكما علاقة زوجية طبيعية كما يحدث بين رجال الإنس ونسائهم . هي تفهم أن لها عالمها ولك عالمك ، وعليها مسؤولياتها وعليك مسؤولياتك . وهي لا تريد أن

تسبب لك حرجاً من أي نوع . ولهذا فهي تريد الوصول إلى اتفاقية واضحة تضع كل شيء في نصابه قبل بدء العلاقة الزوجية . ولهذا أرسلتني إليك بدلاً من أن تجيء بنفسها .» قلت مشدوهاً : «اتفاقية؟!» قال : «لا مشاحة في الاصطلاح! سمّها ما شئت . المهم أن يكون هناك توافق مسبق على كيفية إدارة الزواج» . قلت كالأبله : «إدارة الزواج؟!» . قال : «المطلوب أن يعرف كل منكما ما يتوقعه من الآخر حتى يمكن لحياتكما الزوجية أن تكون سعيدة ، خالية من المفاجآت غير السارّة» . نظرت إليه ولم أتكلم . قال : «اسمع ، يا أخي ضاري! هذه رسالة من زوجتك . خذها واقرأها ، وأعطني الجواب . هذه الرسالة بداية المفاوضات» . قلت بلا تفكير : «مفاوضات؟!» . قال : «بدأ الصباح يظهر . وأمامك يوم دراسي طويل . أبق الرسالة معك واقرأها وفكّر في المسألة بلا تعجّل . سوف أعود بعد أسبوع . هل يكفيك أسبوع؟» . قلت : «يكفي!» . قال : «حسنٌ! نلتقي بعد أسبوع . التاسعة مساءً . هل الموعد مناسب؟» . قلت : «نعم» . قام يودعني إلى الباب وأعطاني ظرفاً وضعته في جيبي . خرجت ورأسي يدور ، يدور ، يدور .

-٨-

زوجتي جنّية ؟!

قال لي القلبُ : أحقّاً ما بلغنا؟
كيف نام القدر الساهر عنّا؟

أتُراها خُدعةً . . حاقت بنا؟
اتُراها ظِنّةً مّما ظننا؟

ناجي

أدرك القرّاء الكرام، في هذه المرحلة من الحكاية، أنني بدلاً من أن أجد نفسي زوجاً لفتاة مغربية جميلة اسمها فاطمة الزهراء شافعي، وجدت نفسي زوجاً لجنيّة اسمها (الحركي) عائشة قنديشة. ولعلّ هذا هو المكان الملائم لأطلع القراء الكرام على ما اطلعت عليه، في أوقات لاحقة، من آراء فقهية حول زواج الإنس بالجن، وعلى بعض حالات الزواج المأخوذة من كتب التراث ومن الكتب المعاصرة.

أشهر كتاب في فقه الجن، إن جاز التعبير، هو آكام المرجان في أحكام الجان للشبلي، ولعله الكتاب الوحيد الذي يخصصه مؤلفه من أوله إلى آخره للقواعد الشرعية التي تحكم علاقات الإنس بالجن. في هذا الكتاب يطرح المؤلف أسئلة متنوعة ومثيرة من قبيل: هل تصح الصلاة خلف الجن؟ (والجواب أنها تصحّ)، ومثل هل تنعقد الجماعة بالجن (والجواب أنها تنعقد).

إلاّ أن الموضوع الأكثر أهمية وإثارة في آكام المرجان هو «مناكحة الجن». يقسّم المؤلف الموضوع إلى قسمين، أولهما بيان إمكان ذلك ووقوعه، وثانيهما بيان مشروعيته. يرى المؤلف أن هذه المناكحة يمكن أن تقع، ويمضي فيفند حجج القائلين

باستحالتها لاختلاف عنصر النار الذي خلق منه الجن عن عنصر الطين الذي خلق منه الإنس، فيقول:

إنهم [الجن] وإن خُلقوا من نار فليسوا بباقين على عنصرهم الناري، بل قد استحالوا عنه بالأكل والشرب والتوالد والتناسل، كما استحال بنو آدم من عنصرهم الترابي بذلك.. إن الذي خلق من النار هو أبو الجن كما خلق آدم أبو الإنس من تراب، أمّا كل واحد من الجنّ غير أبيهم فليس مخلوقاً من النار، كما أن كل واحد من بني آدم ليس مخلوقاً من تراب[1].

ويمضي المؤلف فيفنّد قول القائلين إن استحالة التناسل تعني استحالة الزواج، فيقول:

إننا لو سلّمنا عدم إمكان العلوق فلا يلزم من عدم إمكان العلوق عدم إمكان الوطء، في نفس الأمر، ولا يلزم من عدم العلوق عدم إمكان النكاح شرعاً. فإن الصغيرة والآيسة والمرأة العقيم لا يتصوّر منهن علوق، ومع هذا فالنكاح مشروع[2].

(١) محمد بن عبدالله الشبلي، **آكام المرجان في أحكام الجان**، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩١م)، ص٧٩.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

أما فيما يتعلق بمشروعية المناكحة فيستعرض المؤلّف الآراء الفقهية التي ترى النهي، وتلك التي ترى الكراهة، ثم يدلي برأيه الذي يميل إلى الجواز:

والظاهر عن الأعمش جوازه لأنا قدمنا عنه أنه حضر نكاحاً للجن... إذ لو كان حراماً عنده لما حضره... وقد روي عن زيد العمي أنه قال: «اللهم! ارزقني جنية أتزوجها». قيل له: «يا أبا الحواري! وما تصنع بها؟». قال: «تصحبني في أسفاري حيث كنت كانت معي». وقد قدّمنا أن ظاهر قول مالك بن أنس رضي الله عنه: «ما أرى بذلك بأساً في الدين» يدلّ على جوازه[1].

والقضية التي حشد لها صاحب الآكام كل هذه الأدلة والحجج تبدو واضحة محسومة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي يقرر بلا تحفظات: «وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد، وهذا كثير معروف، وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه»[2]. وهذه الآراء في الزواج المختلط، التي تتراوح بين الاستحالة والإمكان من ناحية، وبين التحريم والتحليل من ناحية أخرى، لا زالت أصداؤها تتكرر

(١) المرجع السابق، ص٨٧.

(٢) ابن تيمية، البيان المبين في أخبار الجن والشياطين، (القاهرة: دار الفضيلة، د.ت)، ص٦٥.

في الكتب المعاصرة التي تبحث موضوع الجن[1] .

ويمضي صاحب الآكام فيروي عدة قصص موثقة (والتوثيق هنا يقتصر على إسناد الرواية إلى أشخاص يثق الراوي في صدقهم) عن المناكحة بين الإنس والجن . يروي قصة عن «شيخ من جبيل» ، قال :

علق رجل من الجن جارية لنا ، ثم خطبها لنا ، قال : «إني أكره أن أنال مُحرّماً» ، فزوجناها منه ، قال فظهر معنا يحدّثنا ، فقلنا : «ما أنتم؟!» فقال «أمم أمثالكم وفينا قبائل كقبائلكم»[2] .

كما ينقل قصة عن الأعمش (الذي كان كما يبدو مفتوناً بالجنيات) .

تزوّج رجل منهم إلى الجن ، فقيل لهم : «أيّ الطعام أحبُّ إليكم؟» قالوا : «الأرز» . قال الأعمش : فجعلوا يأتون بالجفان فيها الأرز فتذهب ولا ترى الأيدي[3] .

ويروي قصة انتهت نهاية مأساوية بعض الشيء :

جاءت امرأة إلى رجل بالمدينة ، فقالت : «إنا

(١) انظر المراجع في نهاية الكتاب .

(٢) آكام المرجان ، مرجع سابق ، ص٨٢ .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

نزلنا قريباً منكم فتزوجني» قال : «فتزوجتها» ، ثم جاءت إليه فقالت : «قد حان رحيلي فطلقني» فكانت تأتيه في الليل على هيئة امرأة ، قال فبينا هو في بعض طرق المدينة إذ رآها تلقط حبّاً مما يسقط من أصحاب الحب ، فقال : «افتبتغينها؟» ، فوضعت يدها على رأسها ثم رفعت عينيها إليه فقالت : «بأيّ عين رأيتني؟» ، قال : «بهذه» ، فأومأت بإصبعها فسالت عينه[1] .

كما يروي قصة زواج مختلط لم يدم طويلاً ، بسبب خوف الزوج الإنسي من زوجته الجنّية ، يقول الزوج :

سافر والدي لإحضار أهله من الشرق ، فلما جزت البيرة ألجأنا المطر إلى أن نمنا في مغارة ، وكنتُ في جماعة ، فبينا أنا نائم إذ أنا بشيء يوقظني ، فانتبهت فإذا بامرأة وسط بين النساء لها عين واحدة مشقوقة بالطول فارتعبت ؛ فقالت : «ما عليك من بأس إنما لتتزوج ابنة لي كالقمر» فقلت لخوفي منها : «على خيرة الله تعالي» ، ثم نظرت فإذا برجال قد أقبلوا فنظرتهم فإذا هم كهيئة المرأة التي أتتني

(١) المرجع نفسه والصفحة .

عيونهم كلها مشقوقة بالطول ، في هيئة قاض وشهود ، فخطب القاضي وعقد ، فقبلت ، ثم نهضوا وعادت المرأة ومعها جارية حسناء إلا أن عينها مثل عين أمّها ، فزاد خوفي واستيحاشي . . ثم آن الرحيل وتلك الشابة لا تفارقني فدمت على هذا ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع أتتني المرأة فقالت : «كأن هذه الشابة ما أعجبتك ، وكأنك تحب فراقها؟» . فقلت : «أي والله!» قالت : «فطلّقها» فطلقتها فانصرفت ثم لم أرهما بعد[1] .

وقصص العلاقة الجنسية بين الإنس والجن في الكتب المعاصرة لها أول وليس لها آخر . ويكفي أن أورد بعض الأمثلة من كتاب واحد . ينقل المؤلف قصصاً جاءت من بلد عربي في فترة زمنية قصيرة عن الموضوع . يروي حكاية الفتاة التي تسلط عليها «أحد ملوك الجن . . وقد تملكها ليلة الزفاف ودخل بها وسكن جسدها ، وهو عنيد لا ينوي مفارقتها والخروج منها»[2] . ويشير إلى قصة شابة دخلت الحمام عارية فاشتهاها «أحد منهم»[3] ووقعت صرعى . ويروي حكاية شابة ثالثة ضحكت بصوت عال

(١) المرجع السابق ، ص ص ٨٢-٨٣ .

(٢) الجن في أدب الجاحظ ، مرجع سابق ، ص٩ .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

في الظلام دون مراعاة «حرمة الناس» الآخرين . . . واستولوا عليها . . . وفقدت كل سيطرة على نفسها وجسدها[1] . على أن أطرف القصص التي يوردها الكتاب قصة بطلها مواطن مصري اسمه محمد كامل إبراهيم جمعة :

> شاهد قطة أمام باب منزل ، ودخلت معه منزله ، وأصبح يداعبها ويلاعبها ، وحين كانت القطة أمام سريره فجأة انتصبت على قدميها الخلفيتين ، ومن ثمَّ أخذ جسمها يتمدّد طولاً وعرضاً إلى أن أصبحت في حجم الكائن البشري ، ونضج لها جلد ناعم الملمس بدل الجلد الوبري ، وشاهد أمامه حورية ممشوقة القوام ، وتمالك أعصابه ، وسألها : «من أنت؟» فقالت : «اسمع مني ، ولا تقاطعني على الإطلاق . لقد قررت ولا بدّ من تنفيذ قراري دون قيد أو شرط ، وقد اخترتك أنت دون سواك ، ولا بدّ من تنفيذ ما عزمت عليه» . . واتفقت معه على الزواج وتم عقد القران ومرت الأيام والسيد محمد . . يعيش حياة غريبة ومثيرة للغاية إذ يراها بمجرد أن يفكرّ فيها . كانت تهيء كل ما يشتهيه من طعام وثياب

(١) المرجع السابق ، ص ٨ .

وجميع احتياجياته . . وحدث أن حملت الجنيّة من محمد ، وعندما اقترب موعد الولادة قالت له إنه يجب أن تكون الولادة في عالمها السفلي[1] .

أنجبت الجنية مولودين ، إلا أن القصة السعيدة انتهت بالفراق : بعد عشر سنوات وبضعة أشهر ، أفضت طفلة محمد الأولى إلى والدها بسرّ جعله يطلق زوجته[2] .

حسناً! ما على القراء الكرام الذين يريدون المزيد من هذه القصص سوى الرجوع إلى المراجع في آخر هذا الكتاب (أو متابعة الصحف والقنوات الفضائية العربية!) . إلا أنني أطلب منهم عدم تصديق كل ما يقرأونه أو يسمعونه من حكايات الزواج المختلط . وأنا مستند في هذا التحذير إلى معلومات حصلت عليها من صديقي قنديش بن قنديشة ، سوف تجيء في موضعها ، وفوق كل ذي علم عليم .

---

(١) المرجع نفسه والصفحة .

(٢) المرجع نفسه والصفحة .

-٩-

والآن.. أقدم لكم

السيدة ع. ق

أي سرٍّ فيك؟ إني لست أدري
كل ما فيك من الأسرار يغري

ناجي

قبل أن تبدأ وقائع الحكاية لم أكن قد سمعت بعيشة قنديشة على الإطلاق . مع تدرج الأحداث ، وسنه بعد سنة ، بدأت أسمع عنها أشياء كثيرة ، غريبة جداً . من المناسب ، إذن ، قبل أن أستمر في القصّة ، أن أتوقفّ هنا لأقدّم للقراء الكرام الصورة الشائعة لعيشة قنديشة في المغرب ، وأن أترك هذه المهمة لباحثين مغربيين متخصصين في الدراسات الأنثروبولوجية . على أنه من الضروري التنبيه على أن هذه الصورة الشائعة ليست الصورة الحقيقية ، كما سيتضح في موضع لاحق من الكتاب .

في كتاب الثقافة الشعبية المغربية (الذاكرة والمجال والمجتمع) ، يخصّص الباحث محمد اديوان فصلاً كاملاً ، عنوانه «الحكاية الشعبية المغربية بين الأسطورة والتاريخ» لظاهرة عيشة قنديشة ، مستعرضاً هذه الظاهرة من عدة وجوه وزوايا ، يتحدث عن مظهرها الشخصي فيقول :

> تظهر في صورة امرأة فائقة الجمال ، تسدل عليها ثوباً أبيض ناصعاً ، وذات قوام رشيق جميل ، وزينة تخلب الألباب ، وتقف في الطريق فتعترض سبيل المارة ، وتختفي حال

حصولها على بغيتها ، وفي حالات أخرى تظهر في صورة جنيّة مكسّوة بالشعر في سائر أجزاء جسدها ، وتبعث على الخوف والهلع الشديدين ، ولا يكاد المرء يقترب منها حتى يظهر له ظلفاها مكان الرجلين[1] .

ثم يتطرق إلى سمعتها الأسطورية :

إنها تفلح في إغواء الرجال ، وكان ديدنها الخروج في الليل لاعتراض سبيل الرجال ، سواء كانوا مشاة أم كانوا على وسائل نقل سريعة ، فلهذا المخلوق العجيب قوة خارقة على الظهور والاختفاء في أي مكان شاء[2] .

ثم يقول :

لقد خرجت هذه الشخصية من عالمي الواقع والأسطورة لتحتل عالم الجن والعفاريت ، ويميل أصحاب الثقافة التقليدية والمعتقدون في أمور السحر واستخدام الجن إلى تصديق وجود هذه الشخصية ، بينما يرفض العقلانيون هذا الاعتقاد ويردّونه إلى مجرد تخيلات مريضة

---

(١) محمد اديوان ، الثقافة الشعبية المغربية (الذاكرة والمجال والمجتمع) ، (الرباط : مطبعة سلي ، ٢٠٠٢م) ، ص٥٦ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة .

وغير عادية[1] .

وينتقل الباحث إلى المرجعية التاريخية للظاهرة ، فيقول إنه خلال استعمار البرتغال للمغرب ، ظهرت امرأة محاربة انتقمت من العدو الذي هاجم قريتها وقتل أهلها أبشع انتقام :

فكانت كُلّما جن الليل وضعت عليها أحسن لباس وأبهى حلة ، وازيّنت أتمّ ما يكون التزيّن ، فخرجت في صورة شديدة الإغراء لإغواء ضباط الأعداء ، فكانت إذا مثلت أمام أحدهم لم تدخر جهداً في إبداء محاسنها وجمالها الأخاذ لإغرائه ولفت اهتمامه . وإذا تحققّ لها ذلك عزلته عن الجماعة وانفردت به لترديه قتيلاً ، فلا تتركه إلا وهو مضرّج بدمائه[2] .

ويذهب الباحث ، انطلاقاً من هذه الجذور التاريخية ، إلى أن البرتغاليين ، إعجاباً ببطولة المحاربة ، أطلقوا عليها لقب السيّدة LA COMTESSA ، وأن هذا اللقب تمّ تحريفه إلى (الكونتيشا) في مرحلة أولى ، ثم إلى (القونديشا) في مرحلة ثانية ، ثم إلى (قنديشة) في مرحلة ثالثة[3] .

وعندما ينتقل الباحث إلى النواحي النفسية ، يتطرق إلى دور

---

(١) المرجع نفسه والصفحة .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

مهم يقوم به رمز عيشة في الدفاع عن حقوق المرأة المستضعفة أمام زوجها المستبدّ :

> إن عيشة قنديشة ، كجسد رمزي ، يقوم بوظيفة الإغواء القوي ، التي لا يملك أمامها الرجل سوى الإذعان لمنطق الرغبة الجامحة التي تفجّر كيانه بنشوة الظفر بالمرأة ، وهي نشوة لا تعمر طويلاً لاصطدام الرجل ، على الرغم من ذكوريته ، بقوة حيلة الأنثى وفتنتها الذكيّة ، فيتم صدمه صدمة عنيفة تتحوّل إلى إحساس بالجبن وإعظام مكانة المعاقب له إلى حد الهلوسة أو الهذيان[1] .

وفي ختام الفصل ، يرتفع المؤلف بالظاهرة إلى حد اعتبار ع . ق (كما يسمّيها) عامل تماسك ووحدة في المجتمع المغربي :

> إن هذه الأسطورة المنبعثة من رماد واقع تاريخي مطبوع بنضال المستعمر البرتغالي ، استطاعت أن تعبّر عن وحدة المجتمع المغربي على مستوى الشرائح الشعبية التي صنعت الانتصار . . . ورمز ع . ق استطاع أن يوحّد الرؤى حول تجربة الحرب والمواجهة التي أعلنتها فئات الشعب في هذه المناطق المغربية في وجه

(١) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

> الاستعمار . . . كما سمحت هذه الأسطورة باتفاق القبائل على طول المجال البحري والنهري في منطقة المغرب . . . من خلال توحيد المخيل الشعبي حول رمز من رموز النضال هو عيشة قنديشة[1] .

إلاّ أن الباحثين الأنثروبولوجيين ، شأنهم شأن الباحثين في كل ميدان من ميادين العلوم ، لا يكادون يجمعون على رأي حول أي موضوع . في مواجهة هذه الصورة الزاهية لأسطورة ع . ق ، وللسيّدة نفسها ، نجد باحثاً مغربياً ثانياً ، هو مصطفى واعراب ، يقدم لنا صورة أقل جمالاً وأشد رعباً :

> من أكثر شخصيات الجن شعبية لدى المغاربة ، إنها . . . عيشة «مولاة المرجة» (سيدة المستنقعات) كما تصفها الأغنية الشعبية الذائعة الصيت ، ولها من الألقاب «لا لا عيشة» أو «عيشة السودانية» أو «عيشة الكناوية» ، يلجأ إليها المغاربة من خلال النطق بها ، ومنها حتى لقبها الغريب المخيف «قنديشة» الذي يجر النطق به لعنة غامضة[2] .

(١) المرجع السابق ، ص٧٠ .

(٢) مصطفى واعراب ، المعتقدات السحريّة في المغرب ، (منشورات الأحداث المغربية ، ٢٠٠٣م) ، ص٩٩ .

ويرجع هذا الباحث أسطورة ع . ق إلى أصول قديمة ، مستشهداً بالباحث الفنلندي (وستر مارك) الذي ربط بين «هذه الجنيّة المهابة الجناب وعشتار إلاهة الحب القديمة ، التي كانت مقدسة لدى كل شعوب البحر الأبيض المتوسط»[١] . ويضيف الباحث : «وربما تكون عيشة قنديشة هي ملكة السماء عند الساميين القدامى[٢] .

ومن السماء إلى الأرض ، ينتقل الباحث من هذه الأصول العالية إلى صورة ع . ق في المخيّل الشعبي :

> تارة يتم تصويرها في شكل ساحرة عجوز شمطاء وحاسدة تقضي معظم وقتها في حبك الألاعيب لتفريق الأزواج ، وتارة أخرى تأخذ شبهاً قريباً من «بغلة الروضة» (بغلة المقبرة) فتبدو مثل امرأة فاتنة الجمال ، تخفي خلف ملابسها نهدين متدلين ، وقدمين تشبهان حوافر الماعز أو الجمال أو البغال (بحسب المناطق المغربية[٣] .)

ويضيف الباحث :

> وكل من تقوده الصدفة إلى أماكن تواجدها

(١) المرجع السابق ، ص٨٨ .

(٢) المرجع نفسه والصفحة .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

> تغريه فينقاد خلفها فاقد الإدراك إلى حيث مخبؤها دون أن يستطيع المقاومة ، وهناك تلتهمه بلا رحمة ، بعد أن يضاجعها لتطفىء نار جوعها الدائم للحم ودم البشر[١] .

وينهي الباحث ملاحظاته عن ع .ق بمعلومة غريبة (ومخيفة بعض الشيء!) :

> والطريف في تداول الأسطورة أن تأثيرها لا ينحصر في أوساط العامة ، فقد كتب عالم الاجتماع المغربي الراحل (بول باسكون) في (أساطير ومعتقدات من المغرب) يحكي أن أستاذاً أوروبياً للفلسفة في إحدى الجامعات المغربية كان يهيىء بحثاً حول «عيشة قنديشة» ، وجد نفسه مضطراً إلى حرق كل ما كتبه حولها وإيقاف بحثه ثم مغادرة المغرب ، بعدما تعرضّ لعدة حوادث غامضة متلاحقة[٢] .

ولعل من المناسب ، هنا ، أن أقول للقراء الكرام ، الذين ينوون متابعة القراءة ، إنهم يفعلون ذلك على مسؤوليتهم الشخصية!

(١) المرجع نفسه والصفحة .

(٢) المرجع السابق ، ص ص ٨٨-٨٩ .

-١٠-

رسالة
من ع. ق
إلى
ض. ض. ض

نامت رسـائل حـبّهـا
كـالطفل .. في أحـلامـهـا

ناجي

ضاري!

أتصوّر أنك في حالة ذهول لا تختلف عن حالة الجنون . وأنا التي شاهدت الكثير من حالات الجنون ، أدرك تماماً قسوة العذاب الذي يجيء مع الجنون ، أو مع حالة كالجنون . أتمنى أن تغفر لي هذا الذنب الذي لا يد لي فيه . صدقني أن حالتي لا تختلف كثيراً عن حالتك . صدقني أنه عبر عمري كلّه ، وعبر الأحداث العاصفة التي مرت بي ومررت بها ، لم تمر بي حالة كحالتي الآن . أجد نفسي ضائعة حائرة ممزقة ، عاجزة عن تبين الطريق ، أقرب ما أكون إلى طفلة إنسية ضاعت في أعماق غابة سوداء . والسبب أني أجد نفسي ، لأول مرة ، أحب إنسياً .

لا يتسع المجال لكي أوضح لك كيف تجري الأمور في عالمنا ، ويكفي أن أقول إننا لا نعرف الحب بالمعنى الذي تعرفونه ، ولا الاتصال الجسدي بالمعنى الذي تعرفونه ، ولا نعرف ألم الفراق ولا لوعة الهجر . يكفي أن أقول إن الحب عاطفة خصّ اللّه سبحانه وتعالى بها الإنس دون الجن . لماذا كان من قدري أن أُبتلى ، أو أن أسعد ، بهذه الأحاسيس البشرية؟ عشت مع البشر فترة طويلة وشعرت نحوهم ، أو نحو معظمهم ، بمودّة ، ونشأت بيني وبين

بعضهم صداقة حقيقية ، ولكنني لم أعرف الحب من قبل . كنت أسخر من الجنيات اللاتي يزعمن أنهن وقعن في هوى إنسي ، وكنت أعتبر أقوالهن نوعاً من المزاح . والآن أجد نفسي ضحية للحب ، فريسة لا تملك أمامه حولاً ولا قوة ولا تعرف كيف تتصرّف .

أضع مستقبل العلاقة في يدك للمرة الثانية ، بعد أن وضعتها في يدك من قبل . لو مزقت الورقة لوضعت حداً لمعاناتي . كنت سأشتاق إليك ، وأتعذب ، ولكنني كنت سأدرك أني أمام علاقة مستحيلة . إلاّ أنك لم تمزق الورقة ، واخترت أن تراني من جديد . أعرف أن لديك مئات الأسئلة التي لا أستطيع الإجابة عنها الآن ، وقد لا أستطيع أن أجيب عنها في المستقبل ، ولكني أشعر أنه لا بُدّ من إيضاح بعض الأشياء . لا تتوقع أن أشرح لك لم أحببتك لأني لا أعرف السبب ، وقد اقتنعت ، بعد عناء طويل ، أن هذا جزء من قدري عليّ أن أتقبّله راضية . يجب ، على أية حال ، أن أخبرك كيف قادتني الطرق إليك بدون تخطيط أو نوايا مسبقة أو إنذار .

كان والد فاطمة الزهراء ، رحمها اللّه ، ولا يزال ، صديقاً لي ، ولهذه الصداقة قصة يطول شرحها . يكفي أن أقول إنني ألجأ إليه أحياناً ، في طلب المساعدة . كثير من الأشياء التي لا نستطيع فعلها يستطيع الإنس فعلها بسهولة . وكان يلجأ إليّ ، أحياناً ، في طلب النصيحة . عندما مرضت ابنته طلب مني أن أراها ، وذهبت معه على هيئة طبيبة إنسية ، وبعد فحص سريع أدركت أن

السموم التي تسربت من الزائدة الدودية المفتوحة توشك أن تنهي حياة هذه الوردة الجميلة . وبالمناسبة ، أرجو ألاّ تصدق السخافات التي يرددها بعض البشر أن بوسع الجن معالجة أمراض البشر . ليت هذا كان صحيحاً!

كانت فاطمة الزهراء في قبضة الهذيان ، تتحدّث عن حبيب غريب سافر وسوف يعود إلى المغرب ويتزوجها . كانت تبكي وهي تتصور هذا الحبيب قادماً ليراها ، وبدلاً من لقائها يكتشف أنها ماتت في غيابه . كان الأب يستمع إلى هذيان البنت والدموع تسيل من عينيه . أخبرني أنها تقول الحقيقة . في لحظة حمقاء وعدت الفتاة أنني سأكون في استقبال حبيبها وأحاول التخفيف من مصابه . هذا الوعد الذي جاء في لحظة حمقاء تطوّر إلى فكرة حمقاء ، وهي أن أستقبلك في هيئة فاطمة الزهراء ، وأخبرك أن موضوع الزواج تعثّر ، وأتأكد أنك غادرت المغرب دون أن تلحق بنفسك أذى . كان في تقديري أن هذا أقل ما يجب عليّ فعله وفاءً لذكرى الشابة الجميلة التي أحبتك . وكان في ظني أن الأمور سوف تسير دون تعقيدات .

يا لجهلي! ويا لحمق أولئك الذين يظنون أن الجن يعرفون الغيب! الحياة لا تستجيب بسهولة لمخططات أحد ، جنياً كان أو إنسياً ، أما القدر فلا يعبأ بهذه المخططات على الإطلاق . بمجرد أن رأيتك في المطار ضربتني العاصفة : شعرت بحب عنيف جارف ، بشعور لم يمرَّ عليّ في حياتي الماضية كلها . وفي غمرة العشق الداهم فعلت ما تود أي إنسية عاشقة أن تفعله ، قررت أن

أتزوجك! لم أتخذ القرار بعد دراسة أو تفكير . كان قراراً فورياً مفاجئاً كالحب الفوري الذي فاجأني . بعد اتخاذ القرار لم يكن من الصعب تهيئة الظروف الملائمة ، وقد شاهدت بنفسك كل شيء ، وعشته معي ، وكنت متجاوباً إلى أبعد الحدود .

في الليلة الأخيرة شعرت بما يشبه الندم ، وأقول ما يشبه الندم ؛ لأن الندم عاطفة بشرية يصعب علينا أن نجرّبها كما تجربونها . شعرت أني خدعتك ، أنك تزوجتني وأنت تعتقد أنك تزوجت امرأة أخرى . بعد جولة مرهقة في ثنايا روحي قررت أن أترك القرار بيدك . قصصت عليك ، باختصار ، ما حدث ، وأعطيتك الورقة ، وأعطيتك الخيار .

كان هذا كله في الماضي ، إلا أن ما يقلقني ، الآن ، هو المستقبل . ماذا سيحدث لنا؟ لا أستطيع أن أعيش بدونك ، ولكن هل أستطيع أن أعيش معك؟ هل تستطيع أن تعيش معي؟ أريد أن أكون زوجتك ، زوجتك التي تشاركك حياتك ، ولكني أدرك ، على الرغم مما يتردد في عالمكم من خرافات ، أن علاقات الزواج المختلط لا تطول ، ويندر أن تكون سعيدة . إنني أطلب منك أن تساعدني على اتخاذ القرار . هل تريدني زوجة لك؟ هل تقدر على العيش معي؟ أعرف أن دنياي غير دنياك ، وأن مشاغلي غير مشاغلك ، ومع ذلك أسأل : هل تستطيع أن تخصّص جزءاً صغيراً من حياتك ، وأنا لا أطمع في أكثر من جزء صغير لي ، لزوجتك؟ سوف أقبل كل الشروط التي تضعها ، وسوف أتقيد بكل رغباتك ، وسوف أتأقلم مع كل أوضاعك ، ولكن ، بعد هذا

كله ، أقول هل تريدني أنت؟ أرجو أن تفكر طويلاً ، فإجـ
ستحمل لي الكثير الكثير من السعادة أو الكثير الكثير
التعاسة ، وليحفظك اللّه الرحمن الرحيم .

-١١-

رسالة من ض. ض. ض
إلى
ع. ق

كـيـف يفنى مـا كـتـبـناه بنارْ؟
وخططناه بسـهـدٍ.. ودمـوعْ؟

يشـهـد الليل عليـه.. والنهـارْ
والشـهـيد المتـواري في الضلوعْ

ناجي

سيدتي!

لم أكتب رسالة إلى جنية من قبل . الحقيقة أنني لم أكتب رسالة إلى امرأة من قبل ، أعني الرسالة بالمعنى الحقيقي ، أما السطور العابرة في المجاملات العابرة فقد كتبت منها الكثير . ولا أدري ما أنوي أن أقوله في هذه الرسالة . حالة الجنون ، أو شبه الجنون ، التي أشرتِ إليها لا زالت تتلبسني . أفكاري مشوّشة كأوراق في مهبّ الريح . أبقى مع الفكرة لحظة قبل أن تختفي وتسلمني لفكرة ثانية ، فثالثة ، فرابعة . وفي خضم الأفكار يصعب الوصول إلى قرار .

ماذا أقول؟ أقول إن صاعقة أصابت وجودي ، ولا يزال الدخان يتصاعد منه . أقول إن موجة عاتية غمرت روحي ، ولا تزال روحي تجاهد لتتنفس . أقول إن زلزالاً ضرب حياتي ، ولا تزال حياتي ترتعد . الفكرة الكبرى في هذه الأفكار التي تمور من حولي ، الفكرة التي أعود إليها بعد الحين والحين ، وتعود إليّ ، هي أن هذا كُلّه ، كل هذا ، حلم من أحلام اليقظة ، ضرب من خداع النفس ، نزوة من جنون مؤقت ، وأنني سأفيق ، ذات صباح ، فأدرك أني توهمت كل شيء ، كل شيء ، وأن الحياة عادت إلى

طبيعتها القديمة . إلا أنني أدرك أن حياتي لن تعود ، أبداً ، إلى طبيعتها القديمة . أعرف أن الصاعقة أحرقت الأماكن المألوفة ، وأن الموجة أخفت الشواطىء التي تعوّدت عليها ، وأن الزلزال غير كلّ المعالم .

تسألينني ، يا سيّدتي ، إذا كنت أريدك زوجة لي . أرجو أن تعرفي بعض الحقائق ذات الصلة بالسؤال . الحقيقة الأولى هي أنه لم تربطني بأي امرأة ، قبل الأسبوع الذي تعرفينه ، علاقة تتجاوز الموعد العابر . أنت ، يا سيدتي ، تسألين رجلاً لم يقض ليلة واحدة مع امرأة ، قبل أن يراك ، إذا كان يريد أن يقضي حياته بأكملها معك . والحقيقة الثانية هي أنني لا أعرف عنك شيئاً ، أيّ شيء ، سوى ما سمعته من قنديش . هل أستطيع أن أعيش مع امرأة لا أعرف عنها شيئاً؟ والحقيقة الثالثة تتعلق بعالمكم ، عالم الجن . لم تكن معلوماتي عن هذا العالم ، حتى التقيت بك ، تتجاوز الأساطير المحلية ، وكلها عن شخصيات جنّية تعشق إيقاع الأذى بالإنس . هل أستطيع أن أحيا مع قادمة من هذا العالم المجهول ، والمخيف؟ والحقيقة الرابعة هي أنني قبل أن ألتقي بفاطمة الزهراء لم أفكر لحظة واحدة في الزواج . كنت أرى أن الزواج قرار يحسن تأجيله ، وتأجيل التفكير فيه ، إلى أبعد مدى ممكن . كيف أتخذ ، الآن ، قراراً كالذي تطلبينه مني؟ والحقيقة الخامسة هي أنني إنسان منظّم ، منظم في دراستي ، منظم في تفكيري ، منظّم في عاداتي . هل يمكنني ، الآن ، أن أدخل في حياتي عاملاً جديداً مجهولاً يقلبها رأساً على عقب؟

ومع ذلك!

ومع ذلك أكون كاذباً مع نفسي ومعك إذا أنكرت أني أشعر بشوق لا يوصف ، شوق لا يطاق ، إلى رؤيتك مرة أخرى . أكون كاذباً إذا لم أعترف أن الأسبوع الذي قضيته معك كان الأجمل والأروع في حياتي كلّها (وأوشك أن أقول كان أجمل وأروع من حياتي كلّها!) . وفوق ذلك ، يجب أن أعترف أنني أعتقد أن هذه العلاقة ، مهما كانت سلبياتها ومشاكلها ومخاطرها ، ستكون شيئاً فريداً في حياتي ، شيئاً لا يحدث كلّ يوم ، شيئاً لا يحدث لبقية البشر . أنا ، كما تعرفين ، طالب أدرس علم الإنسان . ما زلت في بداية الطريق ، واللهفة لمعرفة المزيد عن الإنسان ، هذا الكائن الغريب ، القريب البعيد ، المجهول المعروف ، الغامض الواضح ، تتملك كل جوارحي . يمكنك ، إذن ، أن تتصوّري مدى فضولي (الشخصي والعلمي) لمعرفة المزيد عن كائن آخر ، هو الجني ، أو الجنيّة إذا أردنا الدقة .

وبعد ذلك!

بعد ذلك ، لا أودّ أن أختزل قضية العلاقة بيننا في شوقين : شوقي العاصف إلى لقياك ، وشوقي المتلهف إلى المعرفة . الأمر أشد تعقيداً من هذا (ألا تختصر هذه الجملة العلم بأكمله : الأمر أشد تعقيداً من هذا؟) . إن كان ولا بد من وصف ما نحن مقدمان عليه ، فلا أجد كلمة أدق من المخاطرة ، المخاطرة غير المدروسة ، المخاطرة الحمقاء ، المخاطرة التي تشبه دخول الربع الخالي بلا خرائط ، وبلا أدلّاء ، وبلا معلومات من أي نوع .

سيدتي!

بدأت كتابة هذه الرسالة على غير هدى ، وأنهيها والقرار يوشك أن يتبلور في ذهني . أرجو ألا تضحكي إذا قلت لك إني بدأت الكتابة بإصبع ثابتة وأنهيتها بأصابع ترتعش ، حتى أصبحت الحروف شبيهة بالطلاسم ، الطلاسم التي تنتظرني في حياتي القادمة معك .

ض

-١٢-

مفاوضات
مع قنديش بن قنديشة

مـلأتُ كـأسي وانتظرتُ النديمْ
فـمـا لسـاقي الروح . . لا يُقـبِلُ؟

شوقي جحيمٌ . . وانتظاري جحيمْ
أقلُّ مـــا في لفـــحـــهِ يقـــتلُ

ناجي

في الموعد المتفق عليه كنت أمام باب الجناح في الفندق . قبل أن أضغط على الجرس فتح قنديش الباب ، ورحَّب بي . جلسنا ، وأحضر قارورتي البيبسي والكأسين ، وسلمته رسالتي إلى ع .ق . تركني وذهب إلى غرفة النوم وعاد بعد دقائق وقال : «رسالتك ، الآن ، في يد الخالة» . قلت : «كيف وصلت بهذه السرعة؟» . قال : «لا أستبعد أن تتوصلوا ذات يوم إلى اختراع يجعل المسألة سهلة جداً . وحتى ذلك الحين ، يكفي أن أقول إن الرسالة وصلت . ماذا قررت؟» . قلت : «أخي قنديش! الموضوع ليس بهذه السهولة . لديّ اسئلة كثيرة أودّ أن أعرف الإجابة عنها قبل أن أتخذ القرار» . قال : «سأحاول أن أجيب عنها ، بعد ذلك يجب أن نبدأ المفاوضات . الخالة مستعجلة جداً» . قلت : «لا بُدّ أن أعرف بعض الأشياء عن عالم الجن» . قال : «ماذا تريد أن تعرف؟» . قلت : «لديكم جن مؤمنون ، وجن كافرون ، أليس كذلك؟» . قال : «بطبيعة الحال ، والجن الكافرون هم الشياطين .» قلت : «والشياطين مخلوقات شريرة ، أليس كذلك؟» . قال : «شريرة جداً . تستطيع أن تقول إنها مبرمجة على إيذاء المؤمنين من الإنس والجن . لا توجد شياطين خيّرة» . قلت : «المعذرة ، يا

أخي قنديش! كيف أعرف أن عائشة ليست شيطانة ، وأنك ، بدورك ، لست شيطاناً ، وأني لن أكون ضحية ساذجة للشياطين؟» . ضحك قنديش طويلاً وقال : «سؤال جيّد! هل تعتقد أن هناك شياطين تعبد اللّه وتفعل الخير؟» . قلت : «لا» . قال : «حسناً! ألم تر الخالة ، بنفسك ، وهي تصلي؟» . قلت : «رأيتها» . قال : «ألم تكن أنت تقرأ المعوذتين وآية الكرسي قبل النوم كعادتك منذ الصغر؟» . قلت مذهولاً : «كيف عرفت؟» قال : «منها طبعاً . هذا دليل مقنع ، في حد ذاته ، ولكنك ستزداد اقتناعاً إذا عرفت الخالة أكثر . ستعرف أنها أبعد ما تكون عن الشرّ» . تنفّست بارتياح وقلت : «هذا الإيضاح يزيل عقبة كبرى من الطريق . إلاّ أن هناك عقبة ثانية» . قال : «ما هي؟» قلت : «نحن في المملكة ، يا أخي قنديش ، نعتبر التوحيد جوهر العقيدة . نعتبر الشرك محبطاً لكل الأعمال . وأنا رضعت المنهج السلفي مع الحليب» . ابتسم وقال : «أنتم في السعودية تعتقدون أنّه لا يوجد مسلمون حقيقيون غيركم ، ثم ماذا؟!» . قلت : «أرجو أن تعرف أني إذا دعوت لا أدعو إلا اللّه ، وإذا استعنت لا أستعين إلا باللّه ، وأعبد اللّه بما شرع لا أتجاوزه ، ولا أطلب وساطة أحد بين خالقي وبيني» . قال : «حسناً تفعل . ما علاقة هذا بموضوعنا؟» . قلت : «له علاقة مباشرة . أريد أن تكون علاقتي بعائشة علاقتي بامرأة طبيعية . لا أريد أن تعالجني إذا مرضت ، فاللّه هو الشافي المعافي والأسباب هي الأطباء . ولا أريد أن تعطيني إذا احتجت ، فاللّه هو الرزاق الوهاب والأسباب هي

الكدح . ولا أريد منها أسئلة الامتحانات . ولا أتوقّع منها . . .» قاطعني قنديش ضاحكاً : «لحظة! هي تسمعك الآن؟» . قلت : «تسمعني؟ كيف؟ هل هي معنا؟» قال : «لا . بمجرد أن تدخل الأفكار رأسي تصل إلى رأسها . ألم تسمع عن التلباثي؟ لقد أجرينا تناغماً بين رأسينا قبل قدومي من المغرب ونستطيع أن نتواصل تلباثياً وهي هناك» . قلت مذهولاً : «كيف؟!» . قال : «مشكلتكم ، يا إخواننا الإنس ، أنكم لا تعرفون الطاقة الهائلة التي أودعها اللّه سبحانه وتعالى أدمغتكم . لا تستخدمون من طاقات الدماغ سوى أقل من ٥٪ . لو أنكم طورتم أدمغتكم ، واكتشفتم أسرارها ، لاستطعتم ، بكل يسر ، التواصل تلباثياً» . قلت : «ما دامت سمعتني ، فما هو تعليقها؟» قال : «هي تتفق معك ولن تقوم بأي خدمة ما لم تطلبها منها . وهي ترجو ألاّ تكون متطرفاً فالزوجة الإنسية تقدّم لزوجها الأنسي الكثير من الخدمات دون أن تدخل شبهة الشرك في العلاقة» . قلت : «الشرك يوجد عندما يطلب مخلوق من مخلوق أشياء لا تطلب إلا من الخالق وحده ، وعندما يعتقد أن بوسع المخلوق فعل أشياء لا يستطيع أن يفعلها سوى الخالق وحده» . صمت قنديش قليلاً ، وقال : «الخالة تتفق معك» . قلت : «ويندرج تحت الموضوع نفسه أنها عندما تكون معي يجب أن تتصرف كما تفعل الإنسيات تماماً . لا أقبل أن تمدّ إصبعها فتنقطع الكهرباء ، أو يقف المصعد ، أو تشير . . .» . بدأ قنديش يضحك . قلت : «لم تضحك؟» . قال : «الخالة تضحك وأنا أشاركها الضحك . الخالة تقول إن هذه

مواقف طريفه ولكنها لا تنوي القيام بأشياء كهذه» . قلت :
«حسناً!» قال : «ولكن الخالة تسأل هل لديك اعتراض على أن
تقوم بكل ما تقوم به الزوجة الإنسية؟» قلت : «المبدأ مقبول ،
على الرغم من أني ، بكل صراحة ، لا أعرف ما تقوم به الزوجة
الإنسية» . قال : «الخالة تسأل : هل هناك أشياء أخرى؟» . قلت :
«يا أخي قنديش! حياتي ، الآن ، تسير حسب نمط معين ، وفق
أسلوب محدد . لديّ مسؤوليات ، أهمها الدراسة ، ولي علاقات
وصداقات وارتباطات وأنشطة . دخول زوجة ، فجأة ، إلى حياتي
سوف يؤدي إلى انقلابها رأساً على عقب» . قال : «وماذا
تقترح؟» . قلت : «لا أكتمك أني فكرت طويلاً في الأمر . أقترح
أن أخرج من شقتي الحالية ، وأسكن بمفردي . وأقترح أن نلتقي
في «الويك إند» وفي «الويك إند فقط» . قال : «الخالة موافقة» .
قلت : «لا أريد أن أحدث أزمه مع أسرتي في المملكة . سأقول
للناس كلهم إنها صديقتي ، وإنها تدرس الأدب الانجليزي في
كلية «ويتير» وتأتي لقضاء «الويك إند» معي» . صمت قنديش
قليلاً ، ثم قال : «الخالة تسأل : ألا يمكن أن تقول إنها تدرس في
«ستانفورد»؟ الخالة تقول إن «ويتير» لا تتمتع بسمعة عالية» .
ضحكت ، وقلت : «سبحان من جعل عائشة خبيرة في الجامعات
الأمريكية! «ستانفورد» على بعد تسع ساعات من هنا ، و«ويتير»
على بعد ساعة . سوف يستغرب الناس أن تعبر صديقة هذا
المشوار الطويل ، جيئة وذهاباً ، كل أسبوع . الناس ، يا أخي
قنديش ، يعتقدون أنها تسافر مثلهم» . ابتسم قنديش ، وقال

«الخالة موافقة على «ويتير» قلت : «بقي موضوع الشكل .» قال :
«ماذا عن الشكل؟» . قلت : «أودّ أن تظهر عائشة في شكل
فاطمة الزهراء ولا تغيّر هذا الشكل ما دامت معي» . قال
قنديش : «الخالة موافقة» . قلت : «وسوف يكون اسمها فاطمة
الزهراء شافعي ، وسوف تكون جنسيتها مغربية . أشك في أنها
ستقابل هنا أحداً يعرف فاطمة الزهراء الأصلية» . قال : «الخالة
موافقة» . قلت : «هل اتفقنا ، إذن ، على كل شيء؟» . قال :
«لدى الخالة بعض الأشياء» . قلت : «هات!» قال : «الخالة تود أن
تكون حياتكما طبيعية ولا تتحول إلى استجواب طويل عن
الجن . الخالة تقول إن الزوج الإنسي لا يقضي كل وقته في
استجواب زوجته الإنسية عن وطنها وبيئتها ومجتمعها» . قلت :
«موافق» . قال : «والخالة تودّ منك أن تعرف أنك تستطيع
استخدام حقك الشرعي في تطليقها في أي وقت . وتضيف أنها
سترحل من حياتك بمجرد أن تبدي الرغبة في ذهابها . وتقسم
إنها ما دامت زوجتك فلن تقيم علاقة عاطفية مع غيرك ، لا من
الإنس ولا من الجن» . قلت : «أنا أقدّر ذلك . بقيت نقطة
واحدة . لا أودّ أن تهبط عائشة عليّ فجأة دون سابق إنذار ، ولا أن
تختفي فجأة» . ضحك قنديش وأخرج من جيبه جهازاً في حجم
أجهزة «الموبايل» الشائعة في أيامنا هذه ، إلا أنه لا يحتوي إلاّ
على زرّين . قدمّه لي وقال : «فيما يتعلق بالرحيل المفاجيء لن
يحدث هذا أبداً ، وفيما يتعلق بالحضور لن تحضر ، أبداً ، إلا إذا
طلبتها ، وبوسعك أن تطلبها في أي وقت عن طريق هذا الجهاز» .

-١٣-

عالم الجن:
أسئلة وأجوبة

يا أيـهـــا الزمن الـذي أســـرارهُ
لا تســتطيع لـهـا الـعـقــول وصُــولا

بـالـلـه قـل! أوَمَـــا وراءك لحظةٌ
جمعت خليلاً هاجراً . . وخليلا؟

ناجي

عندما أفقت بعد ساعة وجدت قنديش ينظر إليّ مبتسماً ويقول : «هذه الغفوة القصيرة سوف تريحك بقية الليل . .» ، قاطعته : «والنهار بأكمله» . قال : «هات أسئلتك وسأجيب عن ما أعرف وأترك ما لا أعرف» . قلت : «كم عدد الجن؟» . ابتسم قنديش وقال : «لم يحصهم أحد بحسب علمي ، ولكن ما يبدو مؤكداً هو أن عددهم يفوق عدد الإنس بكثير» . قلت : «وهل يمرضون ويموتون مثلنا تماماً؟» . قال : «يمرضون ويموتون مثلكم إلا أنهم ، في الجملة ، أطول أعماراً» . قلت : «ما هي أعمارهم؟» قال : «هذا سؤال تصعب الإجابة عنه كأي سؤال يتعلق بالزمن . قياس الزمن في عالمنا يختلف ، جذرياً ، عن قياس الزمن في عالمكم . نحن نعيش في عالم خاص بنا ، مكوناته وأبعاده تختلف عن مكونات عالمكم وأبعاده . كما أن أجسادنا مكونة من ذرات تختلف عن الذرات التي تتكون منها أجسادكم . نحن أقدر منكم ، بكثير ، على الحركة السريعة . والزمن مفهوم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسرعة . ولا بدّ أنك تعرف أن نظرية آينشتاين تقول إن الإنسان لو استطاع أن يتحرك بسرعة الضوء لتوقف الزمن عنده . . .» . قاطعته : «كلمني بلغة أفهمها! ما هي أعماركم

بقاييسنا؟» . قال : «نحن مثلكم ، منا من يموت في صباه ، ومنّا من يموت في شبابه ، ومنا من يُعمَّر . أما عن معدل أعمارنا بمقاييسكم ، فأعتقد أنها في حدود قرنين» . قلت : «كم عمر عائشة؟» . ابتسم ، وقال : «ليس من حسن الأدب ، في عالمنا أو عالمكمْ ، السؤال عن عمر امرأة» . قلت : «ماذا يأكل الجن؟» . قال : «يصعب شرح المسألة . نحن نتناول أطعمتنا بطريقة أقرب ما تكون إلى الاستنشاق . لا تنسَ أننا ، في هيأتنا الأصلية ، شبيهون بالذبذبات الكهربائية» . قلت : «لماذا يولع الجن بإيذاء الإنس؟» . ضحك قنديش وقال : «هذا تعميم غير علمي! افتراء حسب تعبيرك . يجب أن تعرف أن الجن مشغولون بعمارة عالمهم كما أنكم مشغولون بعمارة عالمكم . والجن لديهم مشاغلهم الخاصة ، كما أن لديكم مشاغلكم الخاصة . والاعتقاد الشائع عند بعض الإنس أن الجن ليس لديهم من همّ إلا مراقبة الإنس ، والتجسس عليهم ، وإيقاع الأذى بهم ، هو وهم ليس له أساس سوى الخرافات التي تتوارثونها جيلاً بعد جيل . الغالبية العظمى من الجن تعيش وتموت دون أن ترى إنسياً واحداً ، ولعلّها لو رأته لخافت منه» . قلت : «ماذا عن الشياطين؟» . قال : «الوضع يختلف . الشياطين مبرمجة على إيقاع الأذى بالإنس وبمؤمني الجنّ» . قلت : «ما المقصود بالأذى؟» . قال : «الايذاء يتمّ عن طريق الوسوسة والإغراء وتزيين الحرام ، وهذه الأساليب أشد خطراً من الإيذاء الجسدي» قلت : «ماذا عن الإيذاء الجسدي؟» . قال : «في حالات نادرة جداً ، ولأسباب اقتضتها حكمة الخالق

سبحانه ، يستطيع شيطان من الشياطين مسّ الإنسي أو صرعه . ولكن تذكر ، يا أخي ضاري ، أن الشيطان لا يود إلحاق أذى جسدي بالإنسي بل يهدف إلى إدخاله النار عن طريق تحبيب الشرك له . صدقني أنه من بين كل عشرة الآف حالة مس تسمع بها ، لا توجد سوى حالة مسّ حقيقية واحدة ، من شيطان صغير يعبث ، على الأرجح» . قلت : «وبقية الحالات؟» . قال : «أمراض عصبية ونفسية وجسدية أو إيحاءات يبثها المشعوذون ويصدّقها الضحايا» . قلت : «وماذا عن السحرة؟» . قال : «ماذا عنهم؟» . قلت : «هل صحيح أن الساحر يستطيع تسخير الشياطين؟» . قال : «حسب علمي لم يسخّر اللّه الشياطين لأحد بعد سليمان عليه السلام» . قلت : «إذن ما طبيعة العلاقة بين الساحر والشياطين؟» . قال : «هي علاقة شراكة ومنافع متبادلة . يحصل الساحر ، عن طريق الشياطين ، على بعض الأغراض الدنيوية ، المال أساساً ، وتستطيع الشياطين ، عن طريق الساحر ، إغواء آلاف البشر ، وربما عشرات الآلاف . الساحر مجرد ألعوبة في يد الشيطان ، وليس العكس بخلاف ما تقوله كتبكم الصفراء» . قلت : «هل هناك الكثير من السحرة؟» . قال : «من نعم الله أنهم أقل من قليل . يجب أن تعرف أن الأغلبية الساحقة من الذين يدعون أنهم سحرة هم في الحقيقة مشعوذون . أقل من ١٪ من المشعوذين سحرة حقيقيون يتعاملون مع الشياطين ، وهؤلاء السحرة كفرة فجرة مثل شياطينهم . والسحرة ، بالمناسبة ، لا يتعلمون السحر من كتبكم الصفراء ولكن من سحرة آخرين ، أو

من الشياطين مباشرة . الساحر ، يا أخي ، أخطر على المؤمن من ألف مبغى وألف حانة وألف صالة قمار . الساحر لا يقود إلى المعصية التي يمكن للمرء أن يتوب منها ، ولكن إلى شرك يندر أن يتوب منه المتورط فيه . ومن نعم اللّه أنّه سلط الشياطين على السحرة . معظم السحرة يموتون مقتولين ، في ظروف غامضة ، على يد شياطينهم» . قلت : «وهل يستطيع السحرة سحر الناس بربطهم عن أزواجهم أو إصابتهم بأمراض؟» . قال : «السحرة الحقيقيون يستطيعون ذلك بمساعدة شركائهم من الشياطين في حالات نادرة يوجد فيها مسحور يستجيب للسحر . وأنت تعرف ، يا أخي ، أنه لا الجن ولا الإنس ولا الملائكة ، ولا هؤلاء مجتمعين ، يقدرون أن يصيبوا أحداً بضر لم يقدره اللّه عليه ، ولا أن يكشفوا عنه ضراً قدرّه اللّه عليه . وإذا اقتضت إرادة المولى عز وجل أن يُبتلى أحد من عباده بواسطة السحر لا يكون الأمر مختلفاً عن ابتلاء العبد بمرض من الأمراض العادية» . قلت : «وما علاج المسحور؟» . قال : «في معظم الحالات تكفي آيات من القرآن الكريم يقرأها إنسان صالح قويّ الإيمان . وفي حالات قليلة يمكن أن يساهم مؤمنو الجن في رفع البلاء عن المصاب» . قلت : «ماذا عن حالات زواج الإنس بالجن؟» . قال : «هي أندر من نادرة ، كما سبق أن ألمحت ، لأنها بالإضافة إلى التدريب الخاص من الجني ، تتطلب استعداداً خاصاً من الإنسي أو الإنسية» . قلت : «من أين يجيء هذا الاستعداد الخاص؟» . قال : «لا أدري» . قلت : «وماذا عن الأولاد؟» . قال : «أنا ، شخصياً ، لم

أسمع بأطفال من زواج مختلط ، وفوق كل ذي علم عليم» . قلت : «كم عدد حالات الزواج المختلط التي سمعت بها؟» . قال : «لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ، بما فيها حالتنا هذه» قلت : «أخي قنديش! المعذرة! هذا سؤال سخيف! هل تعرف الجن القاطنين في المملكة مثل «أم حمار» و«أم السعف والليف؟»» . ضحك قنديش طويلاً ، وقال : «أخي ضاري! ماذا كنت ستقول إذا سألتك إذا كنت تعرف شخصاً اسمه شانج يونج يقيم في الصين ، أو شخصًا اسمه ديليب ديساي يقيم في الهند؟ ألن تقول إنك لا تعرفهما؟ أنت إنسي ولكنك لا تعرف من الإنس إلا عدداً محدوداً من الذين رأيتهم واحتككت بهم ، وأنا مثلك فيما يتعلق بالجن» . قلت : «عجيب! كنت أظن أن الجن . . .» . قاطعني : «كنت تظن أن الجن يعرفون كل شيء . هذا هراء . الجن ، مثل الإنس ، فيهم الأمي والمتعلم ، القوي والضعيف ، والموهوب وغير الموهوب» . قلت : «ولكني كنت أتصور . . .» . قاطعني : «أعرف ما يتصوّره إخواننا الإنس . أسهل طريقة لفهم عالم الجن هي أن تدرك أنه على الرغم من الاختلافات الكثيرة بين عالمهم وعالم الإنس فهناك وجوه شبه عديدة . هناك تفاوت كبير جداً بين جنيّ وجنيّ . هناك جنيّ يستطيع شق أجواز الفضاء ، كما تقولون ، وهناك جنيّ لا يعرف الطيران . وبيننا ، كما هو الحال عندكم ، أطباء وعلماء وحكماء وشعراء وفلاسفة ، وعاميون جهله . هل يستطيع كل الناس أن يكونوا مثل فرويد أو أديسون؟» قلت : «هل صحيح أن الإنس يقتلون الجن ، أحياناً ،

عن طريق الخطأ؟» . قال : «هذا يحدث في حالات نادرة ، تكاد تنحصر كلها في قتل جني يظهر على هيئة ثعبان أو قط . لا تدع هذه الأمور تشغلك فالنادر ، كما تقولون ، لا حكم له» . قلت : «ما طبيعة العلاقة بين الشياطين ومؤمني الجن؟» . قال : «عداء مزمن وقطيعة ، وحروبٌ أحياناً» . قلت : «وماذا عن تنظيمات الجن السياسية؟» . قال : «الجن المؤمنون يتبعون نظاماً أشبه ما يكون بالنظام الديمقراطي لدى الإنس ، وتجمعاتهم تشبه الكونتونات السويسرية . أما الشياطين فيتبعون نظاماً دكتاتورياً طبقياً هرمياً يقبع على رأسه كبيرهم إبليس ، لعنه الله . هذا النظام لا يختلف عن الأنظمة الفاشيستية لديكم . تستطيع أن تقول إن شياطين الجن هي التي أعانت شياطين الإنس على إقامة الأنظمة الديكتاتورية . من المؤكد أن هتلر وموسوليني وستالين كانوا على اتصال بالشياطين عن طريق السحرة الذين يسمّونهم العرّافين» . قلت : «عجيب!» . قال : «والأعجب أني سمعت أن معظم رؤساء الدول لديكم ، الآن ، لا يقدمون على خطوة قبل استشارة العرافين» . قلت : «لا تصدّق كل ما تسمع . ماذا عن العلم لديكم؟» . قلت : «العلم لدينا متقدم عن العلم لديكم بكثير ، ربما لأنكم ، كما أخبرتني ، تلجأون إلى الملاحظة والاستنباط بينما نحن نقفز قفزاً إلى الحدس . إلا أنكم تصلون إلى اكتشافات علمية مشابهة لما نكتشفه بعدنا بسنين أو بقرون» . قلت : «وماذا عن العلاقات الجنسية عندكم؟» . ابتسم قنديش وقال : «كنت أتوقّع ، مع هوسكم المعروف بالجنس ، أن يكون هذا

سؤالك الأول ، سأحاول تبسيط المسألة . انظر إلى هذا التلفزيون ، وتصوّر أنه أنثى . فكرّ في جهاز البث التلفزيوني وتصوّر أنه ذكر . عندما تصل الذبذبات الالكترونية من الجهاز إلى التلفزيون يتم الاتصال الجنسي . الجنس لدينا ليس له من هدف سوى التناسل ، أما لديكم فالجنس ، كما يبدو ، له ألف غرض وغرض» . قلت : «تعني أن الجنس لديكم يتم بدون لذة؟» . قال : «بدون لذّة وبدون ألم . ذبذبات تُرسل وتستقبل» . قلت : «أخي قنديش! بماذا تنصحنا ، عائشة وأنا ، ونحن مقدمان على تجربة من هذا النوع؟» . قال قنديش : «ليتني أستطيع تقديم نصائح . كل ما يمكنني قوله إنني على استعداد لبذل المساعي الحميدة إذا سارت الأمور ، لا سمح اللّه ، على خلاف ما نرجو» . صمت قنديش قليلاً ، ثم قال : «أمامك أسبوع حافل بالترتيبات والاستعدادات . آن أن تذهب الآن!» . خرجت ورأسي يدور ، يدور ، يدور!

-١٤-

الروض... والخريف

حلَّ بالروضِ خــــــريفٌ منكـرٌ
وظِلالٌ قـــاتماتٌ . . . وغــيــــومْ

ناجي

مرّت الفترة بين تحديد الموعد وقدوم الموعد كأنها سنوات برغم انشغالي الدائم ، بين البحث عن شقة جديدة وتهيئتها لتكون مكاناً مناسباً للحياة الزوجية ، والدراسة وفضول البطيني ، كان الوقت يمشي كسلحفاة مصابة بالروماتزم . ثم جاء الموعد : مساء الجمعة ، الساعة الخامسة بعد الظهر . قبل الموعد بساعة كاملة كنت واقفاً أمام العمارة أنتظر وصولها . للقراء الكرام أن يتصوروا كيف مرت هذه الساعة ، ويكفي أن أقول إنها كانت أطول ساعة في حياتي . في الخامسة تماماً ، وقفت أمام المدخل سيارة كاديلاك سماوية اللون مكشوفة ونزلت ع . ق ، أعني فاطمة الزهراء ، ترتدي بنطلون «جينز» وقميصاً مشجراً ، اللباس الشائع بين الطالبات أيامها (وربما هذه الأيام أيضاً!) . شهقت ، فقد كانت أحلى من صورتها في الذاكرة ، وأشهى . وقفت مسمّراً في مكاني عاجزاً عن الحركة ، وتقدمت إليّ مبتسمة ومدت يدها لتصافحني ، وقالت : «هاي دارلنج! هل سيكون حديثنا بالعربية أو الإنجليزية؟» . قلت : «فطوم! الجماعة هنا لا يتحدثون الإنجليزية . يتحدثون لغة خاصة بهم يسمّونها الإنجليزية / الأمريكية . ما دمنا بمفردنا فمن الأفضل أن نتحدث باللغة

العربية» . متى تعلمت عائشة اللغة الإنجليزية ، وكيف؟! لم أجرأ على السؤال .

حسناً! أيها القراء الكرام! لا توجد حاجة إلى رواية ما حدث في الزيارة الأولى ، أو ما تلاها من زيارات ، بالتفصيل . بوسع كل عاشق ، وأنا أفترض أن بعضكم على الأقل عرف العشق ، أن يتصور حياة زوجين عاشقين . باختصار شديد ، كانت حياتي مع عائشة جنة على الأرض . لم أكن أشبع منها ، ولم تكن هي تشبع ، ولم أكن أرتوي ، ولم تكن هي ترتوي .

تقيّدت عائشة تقيداً تاماً بالاتفاق . لم تظهر منها بادرة واحدة تشير إلى قدرات غير إنسية . لم يكن بوسع أذكى الأذكياء ، وأعظم المراقبين دقة ، أن يشك في أنه يتعامل مع فتاة مغربية جميلة تدرس الأدب الانجليزي في «ويتير» . حقيقة الأمر ، أن الأصدقاء والصديقات تقبّلوها ، على هذا الأساس ، بترحاب كبير ، دخلنا ، هي وأنا ، في شبكة علاقات اجتماعية واسعة .

والتزمتُ ، بدوري ، بوعدي ، لم تكن هناك أي أسئلة عن الجن ، أو عن حياتها الماضية ، أو عن مشاغلها حين تكون بعيدة عني . أصارحكم ، أيها القراء الكرام ، أني كنت أنسى ، معظم الوقت ، أنها جنّية ، وكنت أتعامل معها كما لو كانت بالفعل فاطمة الزهراء .

لم أكتشف إلا بعد شهور من الزيارة الأولى أن ثمة شيئاً في العلاقة لا يخلو من غرابة . وصلت إلى هذا الاقتناع على الرغم من مقاومتي العنيفة . بالنظر إلى أنني لم أجرب الحياة الزوجية

من قبل ، فإنني لم أستطع ، في البداية ، تبيّن شيء مختلف في علاقتنا . تدريجياً ، ومع توسع صلاتنا بأصدقاء متزوجين وبأصدقاء لديهم صديقات دائمات ، بدأت ألحظ أن علاقتي بعائشة كانت مختلفة عن كل ما أراه أمامي من علاقات . لم نكن نتشاجر على الإطلاق . لم يحدث بيننا قط سوء تفاهم . لم يرفع أحدنا صوته وهو يتحدث مع الآخر . لم يعتب أحدنا على الآخر . لم يغضب أحدنا من الآخر . في المقابل ، كان الشجار ، بنوعه الخفيف والثقيل ، جزءاً لا يتجزأ من العلاقات حولنا ، بالإضافة إلى سوء التفاهم والعتاب وفترات الصمت الطويلة . كنت أرى أصدقاء ينفصلون عن زوجاتهم أو صديقاتهم ، بصفة دائمة أو مؤقتة ، بينما كنت أزداد تعلقاً بعائشة ، وتزداد تعلقاً بي . كنت أعزو الفرق إلى الحب المتبادل العميق الذي يوحد بيننا ، والذي لا يوجد في العلاقات الأخرى . كان هذا صحيحاً إلى حد بعيد ، ولكنه لا يفسّر اللغز .

أخذت ألاحظ أنها لا تعاملني كما تعامل النساء من حولنا الرجال . كانت تعاملني كما لو كنت مخلوقاً استثنائياً ، برقة لا توصف ، وبطاعة عمياء ، وباحترام يكاد يصل إلى مرتبة التقديس . لا بُدّ أن أقول إنها استطاعت ، بذكاء بالغ ، أن تخفي هذا كله عندما نكون مع الآخرين . اكتشفت أني أعيش مع امرأة لا يشغلها أي شاغل ، أي شاغل على الاطلاق ، سوى إسعادي . وأواه! كم نجحت في إسعادي!

بدأت ألاحظ أشياء كثيرة صغيرة لم أعرها أيّ اهتمام في

البداية . على سبيل المثال ، بمجرّد أن أفكر في أكلة معينة ، مجرد تفكير ، أراها تذهب إلى المطبخ وتعد هذه الأكلة (وكانت قادرة على طبخ أشهى الأكلات من أقاليم الدنيا المختلفة!) . على سبيل المثال ، عندما أفكر في زيارة صديق ، مجرد تفكير ، تفاجئني مقترحة أن نزور هذا الصديق . على سبيل المثال ، عندما يخطر ببالي أن أشاهد فيلماً سينمائياً معيّناً أجدها قد حصلت ، بالفعل ، على تذكرتين لهذا الفيلم ، وهلم جرا!

ثم لاحظت المعاملة الاستثنائية التي تكاد تصل إلى التقديس . بمجرد دخولي إلى المنزل كانت تخلع حذائي وتضع قدميّ في إناء مملوء بالماء الساخن والزيوت العطرية . بمجرد شعوري بالرغبة في الاستحمام كانت تسبقني إلى الحمام وتملأ البانيو بالماء الدافىء وسوائل ذات روائح نفاذة عجيبة المفعول . وجدت نفسي ممنوعاً من القيام بأي عمل في المنزل ، مهما كان صغيراً . هي التي تطبخ ، وهي التي تنظف القدور والأطباق ، وهي التي تكنس ، وهي التي تغسل الثياب ، وهي التي تأخذ القمامة إلى المكان المخصص لها في العمارة (وكانت تقوم بهذا كله بفعالية مذهلة ودون الاستعانة بطاقات غير إنسية) . كانت تقوم بتدليكي ، مرتين في اليوم ، وتنتهي كل مرّة بشعوري أن الهموم كلها خرجت من جسدي لتحل محلها تيارات من الحيوية . تطول الأمثلة ، ويضيق المجال ، فضلاً عن أن كثيراً من الأشياء تعتبر من الأسرار الزوجية التي لا يجوز ، بحال ، كشفها لأحد . أحسب أن القراء الكرام قد أدركوا المقصود : لم يعامل أي امبراطور أو ملك

عبر التاريخ المعاملة التي كنت ألقاها من عائشة .

ذات يوم ، يوم تاريخي ، يوم أسود حالك السواد ، قررت أن الأمور أصبحت تتطلب مواجهة مباشرة ، وانتهت المواجهة بالمأساة . قلت : «فطوم!» قالت : «حبيبه!» قلت : «هناك أشياء كثيرة غير عادية في علاقتنا» . قالت : «بكل تأكيد . أنا أحبك حبّاً غير عادي ، وأعتقد أنك تبادلني الحب» . قلت : «هذا صحيح ، ولكنني أتحدّث عن أشياء غير الحب» . قالت : «غير الحب؟ هل يوجد شيء غير الحب؟ ماذا تقصد؟» . قلت : «أقصد أني لا أشعر أني زوج كبقية الأزواج ، ولا أشعر أنك زوجة كبقية الزوجات» . قالت : «شعورك في محله . أنا أحبك حباً يفوق حب أي زوجة ، وأرجو أنك تحبني حباً يفوق حب أي زوج» . قلت : «فطوم! لا أتحدث عن الحب» . قالت : «عماذا تتحدث؟ أنا لا أفهمك» . قلت : «حسنٌ! حسنٌ! سوف أضع النقاط على الحروف . لماذا تتعاملين معي كما لو كنت تتعاملين مع شبه إله؟» . قالت : «شبه إله؟! استغفر اللّه العظيم! أنا لا أعبد إلا اللّه وحده» . قلت : «فطوم! هذا تعبير مجازي . أقصد لماذا تعاملينني بهذه الطريقة؟» . قالت بحيرة صادقة : «أي طريقة ، يا حبيبي؟» قلت : «لماذا لا نتشاجر كما يفعل بقية المتزوجين؟» . قالت : «ولماذا نتشاجر؟ مع الحب العميق لا يوجد سبب للشجار» . قلت : «لماذا لا نختلف بين الحين والحين؟» . قالت : «كيف نختلف إذا كنت أتفق معك في كل شيء» . قلت : «هنا مربط الفرس! ألا ترين أنّه من غير الطبيعي أن تتفقي معي في كل

شيء؟» قالت : «أنا أقوم بذلك بطريقة عفوية وبدافع الحب . لا أعتقد أن أي تصرف نابع من الحب يمكن أن يكون غير طبيعي» .

في هذه المرحلة بدأ الحوار ينحدر ، بسرعة هائلة ، إلى الهاوية . قلت : «فطوم! أجيبي بصراحة! هل برمجت نفسك على أن تكوني الزوجة المثالية ، الزوجة المثالية الوحيدة في العالم؟!» . قالت : «لا أعرف ماذا تقصد ببرمجة نفسي» . قلت : «أعني هل استخدمت قوى غير . . .» . قاطعتني : «لقد وعدت ووفيت بوعدي ، ألم أف بوعدي؟» . قلت : «إلى حد ما» . قالت : «ماذا تعني؟» . قلت : «أنت تقرأين أفكاري . هل تنكرين؟» قالت : «إذا كان هناك شيء من هذا فهو يتم بطريقة عفوية دون أن أشعر . ولا تنسَ أن لك دوراً . .» . قاطعتها : «ماذا تقصدين؟ أيّ دور؟» . قالت : «عندما تكون لديك رغبة معينة تستطيع إيصالها إلى أفكاري» . قلت : «كيف؟» . قالت : «لا أعرف . ربما كان الحب يتضمن المقدرة على قراءة الأفكار» . قلت : «ولكنني لا أستطيع أن أقرأ أفكارك» .

آه! هنا ، أيها القراء الكرام ، بدأت الدموع تتساقط من العينين الجميلتين دمعة وراء دمعة . مسحت دموعها ، وقالت : «فهمت! أخيراً فهمت! مللت مني بعد سنة من الزواج . سئمت مني» . قلت : «لم أقل هذا» . قالت : «أعتقد أنك قلت ما يكفي . أعتقد أنك تريد حياة مثيرة وصاخبة ومسلّية ، حياة مليئة بالشجار والعنف والغضب والرضا . أعتذر! ليس بوسعي أن أمنحك حياة كهذه» . قلت : «فطوم! أنت التي بدأت الشجار الآن . كنا

نتحدث ، مجرد حديث» . قالت : «لا! لم يكن مجرد حديث . كانت الأشياء التي قلتها حبيسة صدرك منذ مدة» . قلت وأنا أحاول تلطيف الجو : «آه! انت ، إذن ، تعترفين بقراءة أفكاري!» تجاهلت التعليق ، واستمرت : «فكرت كثيراً قبل أن تبحث المسألة معي . اتخذت قرارك ، وانتهى الأمر» . قلت : «قرار؟ أي قرار؟» . قالت : «قررت أن تنهي العلاقة ، وهذا من حقك طبقاً للاتفاقية» . قلت وأنا أصرخ : «فطوم! فطوم! أيّ اتفاقية؟! أي حق؟!» . نظرت إليّ نظرة حزينة كادت تخلع قلبي : «سوف أذهب ولن تراني بعد الآن» . قلت بهلع : «فطوم! فطوم! فطوم!» ظهرت على وجهها الساحر ، لأول مرة ، ملامح غضب مكتوم ، وقالت : «اسمي ليس فطوم! ما كان ينبغي أن أسمح لك أن تسميني باسم غير اسمي» . قلت : «آسف! عائشة! عائشة! أرجو أن . . .» . قاطعتني : «وصلنا ، الآن ، إلى قلب المشكلة . أنت تود أن تعيش مع فاطمة الزهراء أما أنا فقد اكتشفت بعد سنة أنني لا أصلح لك» . قلت : «عائشة! عائشة! عائشة! أرجو أن تعيدي . . .» قالت : «سوف أذهب ولن تراني» . قلت : «هذا حكم عليّ بالإعدام» . قالت : «لا . هذا تحقيق لرغبتك التي لم تقدر على الإفصاح عنها مباشرة» . قلت : «امنحيني فرصة ثانية» . فكرت قليلاً ، ثم قالت : «حسنٌ! عندما ترتبط بزوجة أخرى ، وتجرّب الحياة معها ، وعندها ، فقط ، يمكنك أن تتصل بي . لا تحاول الاتصال قبل أن يحدث هذا . لن أرد ولن أجيء» . قلت : «عائشة! ولكنني لا أفكر في الزواج من أحد . تذكري أني

لا أحب غيرك» . قالت : «هذا هو موقفك الآن . ولكن من يدري ما سيحمله المستقبل؟ وداعاً أو ربما إلى اللقاء» ، جمعت أمتعتها ، ونزلت ، ودخلت الكاديلاك وذهبت ، اختفت كما يختفي السراب أمام أعين الظامىء التائه في الصحراء .

بقيت عدة أسابيع في قبضة الصدمة لا أستطيع تصديق ما حدث . كنت أعلل نفسي بأنها ستفاجئني وتعود ، إلاّ أنها لم تعد . تدريجياً ، وببطء شديد ، عادت الحياة إلى دورتها الطبيعية وعدت إليها بقلب كسير وروح فقدت القدرة على الفرح .

بعد اختفاء ع .ق بستة شهور أو نحوها ، فوجئت بالهاتف الجنيّ يرن ، وبقنديش على الطرف الآخر يطلب مني أن أسمح له بزيارتي . وافقت بلا تردد . بعد دقائق ، دقائق معدودة ، كان يقرع جرس الشقة .

-١٥-

قنديش.. وبحوثه العجيبة

مرّ يومي . . فارغاً منك . . ومن
أمل اللقيا . . فما أتعس يومي!

ناجي

أحضرت قارورتي البيبسي كولا ، وكأسين ، وبدأ قنديش : «أخي ضاري! كيف حالك؟» . صمت ولم أرد . نظر إليّ باستغراب ، وكرّر السؤال : «كيف حالك؟» . قلت : «أتعتقد أنك تستطيع أن تتصوّر حالي» . قال : «ولماذا لا تخبرني وتريحني من التصورات؟» . قلت : «حسناً! سوف أخبرك . بعد ذهاب عائشة شعرت أن النور خرج من حياتي . شعرت أن قلبي فقد رغبته في النبض . شعرت أن روحي لم تعد تحتفل بالحياة . شعرت بكآبة مدمّرة كادت تقودني ، لولا إيماني الصلب ، إلى الانتحار . انظر! لقد فقدت أربعين رطلاً من وزني . فقدت شهيتي . فقدت لا شهية الطعام فحسب ، بل كل شهيّة . أصبحت حياتي عذاباً يتكرر مع كل يوم ويتجدد مع كل ليلة . هل أجبت عن سؤالك؟» . قال : «أجبت بمنتهى الوضوح ، وأنا شديد التعاطف معك . أحضرت لك أقراصاً لمقاومة الكآبة ، لا توجد حتى الآن في عالمكم . ابتلع حبة كل يوم وسوف تعود طبيعياً ، إلى حد ما على أية حال» . أخذت علبة الأقراص صامتاً ، واستمر قنديش : «هل يسعدك أن تعرف أن الخالة مرت بحالة لا تختلف عن حالتك؟ كل الأشياء التي تصفها مرت بها . تخيل أنها اضطرت

إلى استخدام أقراص لمقاومة الكآبة ، أعني استنشاقها» . قلت بغضب لم أحاول إخفاءه : «أخي قنديش! أنتم إخواننا الجن – وأنا لم أعد متأكداً أنكم إخواننا! – كما قلت لي بنفسك مجرد ذبذبات كهربائية . لا توجد في أجسادكم قلوب تحن ، ولا عيون تسهر ، ولا أضلاع تحترق . لا تتوقع مني أن أصدّق هذا الهراء عن الكآبة التي أصابت عائشة» . ابتسم قنديش ، وقال : «نحن لسنا ذبذبات كهربائية . هذا مثل ضربته لك لتقريب المسألة من فهمك . لدينا أجساد حقيقية ولكنك لا تستطيع استيعاب طبيعتها فضربت لك مثلاً . على أية حال ، ما ذكرته عن عدم وجود مشاعر الحنين والشوق عند الجنّ يصدق عليهم عموماً وإجمالاً . أما الجن المستأنسة الذين عاشوا بينكم ، سنين طويلة ، فتنتقل إليهم ، بحكم الجوار والعدوى ، بعض الخصال البشرية» . قلت : «لا أصدقك! ذبذبات كهربائية تحن وتتوجع!!» قال : «حسناً! حسناً» . تذكر ، يا أخي ضاري ، أنه حتى الذبذبات الكهربائية يمكن أن تضطرب ، وأن يشكّل اضطرابها الكثير من المشاكل . صدقني إذا قلت إن الخالة تشتاق إليك بقدر اشتياقك إليها ، أو أكثر» . قلت : «وما الذي يمنعها من العودة؟» . قال : «آه! يجب أن تعرف أن الخالة تعتز اعتزازاً لا يوصف بكرامتها» . قلت : «وهل أنا إنسان بلا كرامة؟!» . قال : «معاذ اللّه! أنت ، أيضاً ، تعتز بكرامتك ولولا هذا الاعتزاز ما حدث الذي حدث . كرامتك هي التي دفعتك إلى أن تطلب معاملة طبيعية ، أن تكون زوجاً طبيعياً ، لا طفلاً مقدّساً مدللاً . ألم تكن هذه هي

المشكلة؟» . قلت : «هذا تلخيص جيد للموقف» . قال : «وعدتك الخالة أن تكون زوجة طبيعية ، وهذا ما فعلته ، أو حاولت فعله . هل ذنبها أنكم ، يا إخواننا الإنس ، لا تستمتعون بالعيش دون مشاكل؟» . قلت : «كنت أتحدث معها حديثاً عادياً ولم أطلب منها الذهاب» . قال : «لا! القضية أعمق من ذلك . عندما ذهبت الخالة لم تذهب لأنك ناقشتها في الموضوع . رحلت لأنها أدركت ، بحساسيتها الفائقة ، أن وجودها لم يعد مرغوباً فيه . قد تكون أخفيت هذه الحقيقة عن نفسك ولكنك لم تخفها عن الخالة» . قلت : «والآن؟» قال : «الآن ، كما قالت لك ، أنت بحاجة إلى الدخول في علاقه زوجية جديدة لتستطيع المقارنة بين الحياتين . عندما تمرّ بالتجربة الثانية يمكن أن تكون لديك صورة أوضح عن طبيعة الزواج . عندها يمكن أن تبدأ المفاوضات مع الخالة» . قلت : «أخي قنديش! مفاوضات من جديد؟ هل نحن أفراد أم دول ذات سيادة؟!» قال : «الخالة تحب ، دوماً ، أن تكون الأشياء واضحة كل الوضوح» . قلت : «ولكني لا أنوي الزواج» . قال : «حسناً! سوف نعبر هذا الجسر عندما نصل إليه . أنا ، على أية حال ، لم أزرك لبحث موضوع الخالة» . نظرت إليه مستغرباً ، ولم أعلق ، وواصل : «جئت لأعرض إليك بعض النتائج التي توصلت إليها في دراستي لإخواننا الإنس . هل أنت على استعداد؟» قلت : «اللّه يستر! تفضّل!» قال : «تأكدت بنفسي من صحة الوصيّة الثانية التي تحكم التعامل مع الإنس : لا تتوقع من إنسيّ اعترافاً بالجميل» قلت : «هذا افتراء!» . قال : «أنا لا

أحاول إقناعك . أنا أعرض عليك ما توصّلت إليه في بحوثي» .
قلت : «استنتجت هذه المقولة من تجربتي مع عائشة . رأيت أنها
قدّمت لي جميلاً ورأيت إنكاراً للجميل من جانبي أليس
كذلك؟» . ضحك قنديش ، وقال : «لا والله! لم يخطر هذا
ببالي . وصلت إلى هذه النتيجة عن طريق الدراسة . بعد أن
أدركت أن الحدس لن يفيدني في فهم إخواننا الإنس ، اتبعت
طريقة الملاحظة والاستنباط التي شرحتها لي . في أكثر من
ثلاثين ألف حالة درستها وجدت أن حالات الاعتراف بالجميل
لا تتجاوز ١٠٪» . قلت : «ما هي أدوات البحث ، التي
استخدمتها؟» قال : «اشتريت مجموعة من الكتب التي تعلم
منهجيات البحث واتبعت ما جاء فيها . بعض المعلومات مستقى
من استبيانات ، وبعضها من ملاحظات مباشرة ، وبعضها من
مقابلات أجريت بتكليف مني . المهم أن هذه البحوث وصلت
إلى هذه النتيجة المؤسفة» . قلت : «ما دمت تستند إلى
إحصائيات فيجب أن أعترف أن هذه الإحصائيات هي مؤشر
ولكنها تبقى مجرد مؤشر» . قال : «لا أطمع في أكثر من
المؤشرات» . قلت : «وهل قصرت بحوثك على الاعتراف
بالجميل؟» . قال : «لا . النتيجة الأخرى التي وصلت إليها أكّدت
ما قالته لي الخالة في ذلك اللقاء بيننا في المحمديّة : الإنس
يحكم سلوكهم الجنس أولاً ، ثم السلطة ، ثم المال» . قلت : «أخي
قنديش! سبق أن بحثت معك موضوع الجنس وأخبرتك أنه
يصعب الوصول إلى تعميمات قاطعة بشأنه» . ابتسم قنديش

وأخرج من جيبه ورقة مليئة بالأرقام ، وقال : «درست خمسين
ألف حالة ، من كل مكان على أرضكم ، من كل جنس ، من كل
لغة ، من كل دين ، من كل عمر ، ووجدت أن الجنس عامل
جوهري يؤثّر في تصرف الحالات المدروسة كلها» . ضحكت ،
وقلت : «وكيف درست خمسين ألف حالة؟!» قال : «استعنت
بطرق البحث التي تعرفونها وتستخدمونها . هل تريد كل
التفاصيل؟» . قلت : «لا» . قال : «إذن ، صدقني» . قلت . . .
«حسناً! وماذا بعد؟» . قال : «وجدت أن حب السلطة يأتي بعد
الجنس كأهم مؤثّر في السلوك الإنساني» . قلت : «ولديك الأرقام
والإحصائيات؟» . قال : «نعم . واكتشفت أن المال يجيء بعد
الجنس والسلطة» . صمت قنديش قليلاً ، ثم قال : «هل تريد أن
تعرف كيف وصلت إلى هذه النتيجة؟» . قلت : «نعم» . قال :
طفت على خمسة الآف مشعوذ من جميع أنحاء الدنيا وهم ،
بالمناسبة ، موجودون في الولايات المتحدة بنسبتهم نفسها في
الهند أو أندونيسيا أو مصر» . قلت : «مستحيل!» . قال : «هذا
حديث الأرقام ولكن لاحظ أن الأسماء تختلف . في الولايات
المتحدة لا يعلن الدجّال أنه ساحر بل يدّعي القدرة على قراءة
الكف أو تحليل الأبراج أو تحضير الأرواح . النتيجة واحدة .
اخترت عشرة زبائن من كل مشعوذ ، نصفهم من الرجال ونصفهم
من النساء ، اختياراً عشوائياً فتجمعت لدي عينة كبيرة جداً :
خمسين ألف حالة . هل تريد أن تعرف النتيجة؟» ، قلت : «لا
أستطيع أن أصبر» . قال : «كان الهدف تحديد الأسباب التي تدفع

الناس إلى الذهاب إلى المشعوذين . حسناً! إليك النسبة : ٤٠٪ من الزبائن يراجع المشعوذين لأسباب تتعلق بالجنس ، و٣٥٪ لأسباب تتعلق بالسلطة ، و٢٥٪ لأسباب تتعلق بالمال» . قلت بإعجاب : «براڤو أخي قنديش! لا أعتقد أنه توجد إحصائيات بهذا الشمول عندنا» . قال : «تستطيع أن تقتبس من بحوثي ما شئت» . قلت : «أفضل أن أجري بحوثي بنفسي ولكني أشكرك على أية حال» . ابتسم قنديش ، وقال : «إعلم ، يا أخي ضاري ، أني استعنت بوسيلة بحثية غير تقليدية بالإضافة إلى الوسائل التقليدية . ادعيت أنني ساحر يستطيع أن يحقق للزبون كل طلباته . مثلت دور الساحر في عشر عواصم مختلفة . وكنت عندما يأتي الزبون أزعم أنني أستطيع قراءة أفكاره ومعرفة رغباته . كنت أقول إن جميع ما يريده موجود لديّ . كنت أقول إن هناك امرأة جميلة بانتظاره في الغرفة رقم (١) . وهناك ظرف يضم عشرة الآف دولار بانتظاره في الغرفة رقم (٢) . وهناك تعويذة سحرية تمكنه من إخضاع كل من حوله لسلطته في الغرفة رقم (٣)» . صمت قنديش قليلاً ، ثم قال : «هل تريد أن تعرف النتيجة؟» . قلت : «بكل تأكيد» . قال : «اختيار الغرف جاء متمشياً تماماً مع النسب السابقة : ٤٠٪ جنس ، و٣٥٪ سلطة ، و٢٥٪ مال» . قلت : «نتيجة مذهلة . كنت أتصور أن المال أهم مؤثر في التصرفات البشرية . ومع ذلك يجب أن تعرف أنه يمكن إثارة اعتراضات منهجية على هذا الأسلوب من البحث ، مثل نفسية الزبون وعمره ووضعه الاجتماعي» . قاطعني : «هذا صحيح ، ولكنني لا أعتقد أن النتيجة ستتغير» . قلت : «قد يكون ما تقوله صحيحاً وقد لا يكون» . قال : «هل تريد أن تعرف أشياء أخرى عرفتها ، عرضاً ، أثناء بحوثي؟» ، قلت : «بالتأكيد» . قال : «تحققت من صحة الإشاعة التي سبق أن قلت لك إنني سمعتها . تنتشر ظاهرة اللجوء إلى المشعوذين بين الحكام والزعماء ، والساسة عموماً ، أكثر من انتشارها في أي طبقة أخرى» . قلت : «هذا مستحيل! هذه الطبقة ، عموماً ، مثقفة وواعية ولا . . .» . قال : «هل تريد أن ترى صوراً لثلاثة أرباع زعماء الإنس وهم يتشاورون مع سحرتهم أو منجميهم أو عرافيهم؟» . قلت : «هل لديك هذه الصور؟» . قال : «رأيتهم بنفسي ولم أر حاجة إلى التوثيق . إذا كنت تريد البرهان يمكنني أن أحضر لك صوراً» . قلت : «أصدقك بلا صور . بدأت أقتنع أنك باحث جاد ، على الرغم من أساليبك غير الأرثوذوكسية في البحث» . قال : «وهل تريد أن تعرف شيئاً عجيباً آخر عنكم معشر الإنس؟» . قلت : «هذا يوم العجائب . هات!» قال : «اعلم ، يا أخي ضاري ، أنه بمجرد أن يطغى عامل واحد طغياناً شديداً على إنسي ، فإنه يفقد الرغبة في العاملين الثانيين» . قلت : «لم أفهم» . قال : «حسناً! الديكتاتور الذي يعشق السلطة يندر أن يجد متعة في الجنس أو المال» . قلت : «ولكن الكثير . .» . قاطعني : «أعرف ما تقصد . قد يجمع الديكتاتور المال ويجمع من حوله النساء ، ولكن لا يجد أي متعة في المال أو في النساء» . قلت : «هذا شيء غريب» . قال : «وينطبق الشيء نفسه على

الجنس والسلطة . زئر النساء الشبق لا يجد متعة في جمع المال أو ممارسة السلطة ، وعاشق الذهب لا يكاد يجد فسحة من الوقت لجنس أو سلطة» . قلت : «إذا صحت ملاحظتك فمعنى هذا أن القاعدة الذهبية التي نادى بها فلاسفة اليونان ، الاعتدال ، ما زالت قاعدة ذهبية» . قال : «بلا شك . ولكن يؤسفني أن أخبرك أن الوصية الثالثة في التعامل مع الإنس تقول : لا تتوقع اعتدالاً من إنسي . وقبل أن تعترض لا بُدّ أن أضيف أن بحوثي أثبتت صحة هذه الوصية على نحو قاطع» . قلت : «أخي قنديش! تستحق التهنئة على هذه البحوث . أتوقع أن يكون كتابك منجماً هائلاً لمعلومات مهمة عن الجنس البشري» . قال : «هذا ما أرجوه . والآن ، هل تسمح لي بالانصراف؟» . قلت : «وماذا عن عائشة؟!» . قال : «لا بد من تجربة زوجية جديدة قبل أن تراها مرة أخرى» . قلت : «أخي قنديش! أود أن أفضي إليك بسرّ مخجل بعض الشيء» . قال : «سرك في الصون» . قلت : «بمجرد ذهاب عائشة لم أعد أشعر برغبة في النساء . خرجت مع زميلات عديدات ووجدت نفسي زاهداً حتى في الإمساك بأيديهن!» . ابتسم قنديش ولم يعلق . قلت : «أخي قنديش! هل فعلت عائشة بي شيئاً؟ هل ربطتني عن النساء؟» . ضحك قنديش طويلاً وقال : «حتى أنت يا أخي ضاري! لا أظن أن الخالة في حياتها كلّها فعلت شيئاً من هذا . ولو فرضنا جدلاً أنها تفعل هذا مع غيرك فلن تفعله معك . حبها لك يمنعها من إيقاع أي نوع من أنواع الأذى بك» . قلت : «هل أنت متأكد؟» قال : «كما أنا

متأكد أنك أمامي الآن» . قلت : «إذن كيف يمكنك أن تفسر الحالة التي انتابتني بعد رحيلها؟» . قال : «أنتم ، إخواننا الإنس ، تعزون أشياء كثيرة جداً إلى الحالة النفسية . أعتقد أنك تعاني مشكلة نفسية» . قلت : «ماذا تقصد؟» قال : «أقصد أنك لا تشتهي أي امرأة غير عائشة . لا يوجد ربط ولا رابطون» . قلت : «إذا استمرت هذه الحالة فكيف يمكن أن تكون لي تجربة زوجية جديدة؟ أعتقد أن عائشة وضعت هذا الشرط التعجيزي حتى لا تعود» . قال : «أخي ضاري! أنتم تقولون ، وقولكم صحيح ، إن دوام الحال من المحال» . قام مبتسماً ، وصافحني ، وغادر الشقة .

-١٦-

أقدّم لكم آبيجيل براون

أنتِ! قد صيّرتِ أمري عجباً
كثُرَتْ حوليَ أطيار الرُبى

وإذا قلتُ لقلبي ساعةً
قُم نغرّدْ لسوى ليلى.. أبى

ناجي

قدرة البشر على التأقلم عظيمة جداً ، واللّه أعلم بقدرة الجنّ! . وقدرة الشباب لا تعرف الحدود . بعد أسابيع من الكآبة السوداء رجعت إلى حياتي القديمة ، مشغولاً ببرنامج الماجستير ومتطلباته الكثيرة ، والأصدقاء ، والأنشطة العربية . إلاّ أن شيئاً واحداً اختفى من حياتي نهائياً هو العلاقات العاطفية . تحولت في فورة الشباب ، وبلا قرار منّي ، إلى راهب ، فيما يتعلق بالجنس . إلاّ أن اختفاء الجانب الجنسي قاد إلى نتيجة لم تكن في الحسبان : زاد عدد صديقاتي (الافلاطونيات) زيادة هائلة ، وزاد حسد الأصدقاء الذين يجهلون السبب أضعافاً مضاعفة . إن الذين يتحدثون عن استحالة قيام علاقة لا يدخلها الجنس بين رجل وامرأة قوم يتحدثون عما لا يعرفون .

مرت الشهور تتلو الشهور ووصلت إلى المرحلة النهائية من الماجستير : كتابة الرسالة . لا بُدّ أن أتوقف هنا لأقول للقراء الكرام إن علم الانثروبولوجي بدأ بداية عجيبة ، مع الاكتشافات الجغرافية الكبرى ، بوصف المجتمعات البدائية . حقيقة الأمر أن الوثائق الطريفة التي تتحدث عن سلوك هذه المجتمعات لم تصل إلى مرحلة اكتسبت فيها صفة العلم إلاّ مع نهاية القرن التاسع

عشر ، ولم تصبح علماً بالمعنى الأكاديمي الدقيق إلاّ في القرن العشرين . حتى بعد هذا التطوّر لم ينجح علم الإنسان في التخلص من أصوله البدائية القديمة في مرحلة دراستي ، الستينات الميلادية من القرن المنصرم ، كان الاتجاه السائد في الرسائل الجامعية ما يزال الكتابة عن المجتمعات البدائية . كان لا بُدّ من هذه المقدّمة لأقول إن الموضوع الذي اخترته لرسالة الماجستير كان مقارنة بين وضع الساحر - أو «الشامان» - عند بعض قبائل الهنود الحمر (التي تسمى الآن القبائل الأمريكية / الهندية) ووضعه في المجتمع العربي الجاهلي .

لا يتّسع المجال لاستعراض رسالة الماجستير التي تغط سعيدة بنومها في رف من رفوف المكتبة بالجامعة ، لا يوقظها من سباتها ، بين الحين والحين ، سوى طالب ماجستير أو دكتوراه . يكفي أن أقول إن قبائل الهنود الحمر التي درستها كانت تعتقد أن «الشامان» يحصل على قدراته الخارقة عن طريق الاتصال ، في اليقظة أو النوم ، «بكائن ميتافيزيقي له قوة غير محدودة» . هذا الكائن يمنح «الشامان» القدرة على ممارسة السحر ، وتشمل قراءة المستقبل وعلاج الأمراض ومعاقبة الأعداء . كان «للشامان» مكانة استثنائية فريدة لدى القبيلة (وإن كانت هذه المكانة لا تحول دون قتله إذا تكرر إخفاقه في العلاج!) . في المقابل ، كان السحر في المجتمع العربي الجاهلي يكاد يقتصر على الكهانة ، أي التنبؤ بالمستقبل . النتيجة التي انتهت إليها الرسالة هي أن المجتمع العربي الجاهلي كان ، فيما يتعلق بالسحر والسحرة ، «أقل بدائية»

من مجتمع الهنود الحمر .

أورد هذا كله تمهيداً لدخول آبيجيل براون هذه الحكاية . تطلب إعداد الرسالة بحوثاً ميدانية أجريتها في ولاية أريزونا مع بقايا هذه القبائل التي تعيش في «مستوطنات» حديثة أقامتها وتديرها الحكومة الفيدرالية . هناك ، في إحدى هذه المستوطنات ، قابلت آبيجيل (من الآن فصاعداً يحسن أن أستخدم الاسم الذي كان الجميع يعرفونها به ، آبي) . كانت آبي تدرس في جامعتي ، التخصص نفسه ، إلا أنه لم يسبق لنا أن التقينا من قبل . كانت ، بدورها ، تعد رسالة الماجستير عن معنى الأحلام عند عدد من قبائل الهنود الحمر (درست قبائل مختلفة عن قبائلي!) . عندما التقينا ، بعيداً عن لوس أنجلس ، في أريزونا ، شعر كل منا أن هذا اللقاء ، بالطريقة التي تم بها ، في منزل هندي أحمر عجوز ، كان أعجوبة من أعاجيب القدر .

كانت آبي فتاة خارقة الجمال . كانت ممشوقة القوام ، ينهدل شعرها الأشقر على خصرها ، ويلمع في عينيها الخضراوتين بريق الذكاء (وليس من المناسب الإسهاب في الحديث عن مفاتنها لسبب سوف يتضح للقراء الكرام قريباً!) . بدأت العلاقة بيننا أكاديمية خالصة . كان بحثي وبحثها متشابهين جداً ، وكانت هذه الأعجوبة الثانية من أعاجيب القدر ، موضع حوارات لا تنتهي بيننا . شيئاً فشيئاً بعد العودة إلى لوس أنجلس تحولت الزمالة إلى صداقة . ثم تطورت إلى علاقة عاطفية قائمة على انجذاب متبادل . بعد بضعة شهور من اللقاء قررنا أن نتزوج . كانت آبي

فتاة ذات شخصية قوية مستقلة ، واكتفت بإخبار أسرتها بقرارها ، أما أنا فقد قررت اتباع المقولة المغربية الشهيرة «ما لا تعرفه لا يضرك» ، ورأيت أنه لا يضرّ أسرتي ألا تعرف بالزواج .

تم كل شيء بسهولة متناهية ، وبعد حفل صغير حضره عدد صغير من الأصدقاء ، وجدت نفسي مع آبي في فندق في رينو بشمال كاليفورنيا نقضي أسبوع العسل (لم تسمح أوضاعنا المادية بفترة أطول) . في الليلة الأولى بدأت المأساة . وجدت نفسي عاجزاً عن القيام بواجباتي الزوجية . في مرحلة ما قبل الزواج كنت أحسّ إزاء آبي بالرغبة الجنسية المعتادة ، ولهذا جاءت صدمة الليلة الأولى مدمرة . تكرر الفشل ليلة بعد ليلة حتى وصلت إلى مرحلة اليأس والامتناع عن المحاولة . تقبّلت آبي الأمر بهدوء غريب ، وكأنه أمر طبيعي في كل زواج ، ولم تشر إليه على الإطلاق .

لعل غياب الجنس كان المسؤول الأول عن البرود الذي لف حياتنا الزوجية (إحصائية جديدة لقنديش!) . إلا أن المسألة لم تقف عند الجنس . يوماً بعد يوم ، كان يتضح لنا أننا اتخذنا قراراً بعيداً عن الحكمة حين قررنا الزواج . كان كل أسبوع يمرّ يزيد الواحد منا بعداً عن الآخر . سرعان ما وجدنا نفسينا نعيش حياتين منفصلتين لا يجمعنا سوى مخدع بارد في آخر الليل . وصلنا ، آبي وأنا ، بعد شهور قليلة إلى أنه لا جدوى من الاستمرار في هذه الحياة . في سن الخامسة والعشرين ، وفي يوم واحد ، استلمت وثيقتين : شهادة الماجستير وحكم الطلاق .

بعد أن انتهت إجراءات الطلاق ، وكانت ودّية جداً ، لم تكن هناك أموال تعقّدها عند أيّ منا ، أبلغت آبي أني أريد أن أراها لنتحدث ونحاول أن نتفهم لماذا حدث ما حدث . وافقت آبي ، على الفور ، وتمّ اللقاء في الشقة التي انتقلتْ إليها بعد الطلاق . دار الحديث في جو دافىء مشبع بالصداقة . بدأت بالموضوع الذي ظلّ يؤرقني منذ الليلة الأولى : «آبي! إني أعتقد أن زواجنا انهار بسبب فشلي الجنسي . ما يحيّرني هو أنك لم تذكري هذا الفشل على الإطلاق ، لا تصريحاً ولا تلميحاً . هل كنت تتجنبين إحراجي؟» . تأملتني بعينيها الجميلتين عدة دقائق قبل أن تجيب : «ضاري! لديّ اعتراف آن الاوان لإطلاق سراحه . لم يكن الجنس مشكلتك وحدك» . قلت مستغرباً : «ماذا تقصدين؟» . قالت : «كنت أعتقد أنك لاحظت . ألم تلاحظ كيف كنت أتصرّف كلما كنا في السرير؟» . قلت : «شغلتني مشكلتي عن كل شيء . ماذا كان يحدث؟» . قالت : «في الليلة الأولى شعرت بقشعريرة جعلت جسمي كله مثلجاً وجعلت أطرافي متخشبة . ظل هذا الشعور يعاودني كلما اقتربت مني . كنت أتمنى أن تتوقف لأني كنت غير قادرة على التجاوب معك . كنت كالمشلولة . الحقيقة ، عزيزي ضاري ، أني كنت أعتقد أن حالتي هي المسؤولة عن عجزك» . قلت مذهولاً : «إذن ، كنا مسؤولْين ، بالقدر نفسه ، عن اختفاء الجنس من زواجنا؟» . ابتسمت آبي وقالت : «ربّما . إلا أنني أعتبر نفسي مسؤولة بدرجة أكبر» . شعرت أن عبئاً كبيراً ينزاح عن كاهلي ، وقلت : «آبي! كان يجب أن تخبريني» .

قالت : «ما جدوى الحديث؟ كنت أتوقع أن تنتهي المشكلة إلا أنها كانت تزداد سوءاً» . قلت : «أبي! أرجو المعذرة! هذا سؤال غريب بعض الشيء . هل تعتقدين أن هناك شيئاً ، أعني شيئاً غير طبيعي ، أدى إلى نشوء هذه الحالة عندك وعندي؟» . فكرت قليلاً ، ثم قالت مبتسمة : «شيء غير طبيعي؟! ماذا تقصد؟» قلت : «أرجو ألا تضحكي! هل تعتقدين أن هناك من سحرك وسحرني؟» . لم تضحك ، وابتسمت عيناها الحلوتان ، وقالت : «ضاري! أنت تمزح!» . قلت : «لا أمزح!» قالت : «أنت تعتقد جاداً ، أن هناك من سحرني وسحرك؟! فودو؟!» قلت : «هذا افتراض لا أستطيع أن أستبعده» . فكرت قليلاً ثم قالت : «أنا وأنت ندرس الإنسان ، والإنسان ظاهرة غريبة معقّدة . الإيمان بالسحر صاحب البشر من فترة ما قبل التاريخ ، ولا يزال يصاحب البشر . في رسالتك تحدثت عن الساحر ، وفي رسالتي تحدثت عن أحلام لها مفعول السحر . صحيح أننا كنا ندرس جماعات من الهنود الحمر ، ولكن ، في النهاية ، هل تختلف المجتمعات البشرية كثيراً؟» . قلت : «أبي! الذي يملك الإجابة على هذا السؤال سيصبح أعظم عالم أنثروبولوجي في التاريخ» . ابتسمت وقالت : «هذا صحيح . أنا ، شخصياً ، أعتقد أن الاختلافات بين المجتمعات ، على الرغم من عمقها وتعددها وتنوّعها ، لا تستطيع أن تخفي الأشياء المشتركة ، وخاصة تلك الأشياء النابعة من العقل الجماعي للإنسانية كلّها ، والمبنيّ ، جزئياً على الأقل ، على أساطير وخرافات مشتركة» . ابتسمت وقلت : «حتى يونج لم

يذهب إلى هذا الحد! إذن فأنت ، باختصار ، لا تستبعدين أن نكون مسحورين؟» . ضحكت من الأعماق ، وقالت : «ضاري! لم أقل شيئاً كهذا ولا قريباً من هذا» . قلت : «إذن ماذا قصدتِ بكلامك عن الأشياء المشتركة؟ أليس السحر ضمن هذه الأشياء؟» . قالت : «حسنٌ! سأحاول أن أشرح . إذا كنت تعتقد موقناً أنك ضحية سحر فلا شك في أن هذا الاعتقاد سوف يؤثّر في مسلكك . وإذا كنت تعتقد موقناً أن هذا السحر يسبب العجز الجنسي ، فسوف يصيبك العجز الجنسي» . قلت : «حسناً! أنا أقبل هذا! أنت ، إذن ، تؤمنين بالسحر؟» . تنهدت ، وقالت : «هنا يصبح الموضوع معقداً بعض الشيء . قلت إن الإيمان بالسحر صاحب البشر منذ القدم ، ولكنني ، شخصياً ، لا أؤمن بالسحر . لا أعتقد أن بوسع أحد ، كائناً من كان ، أن يسلّط عليّ قوى غير طبيعية ، قوى غير منظورة ، تؤثّر في تصرفاتي . التأثيرات البشرية شيء آخر . أنا آخذ تأثيرات البشر بمنتهى الجدية» . قلت : «ماذا تقصدين؟» . قالت : «ضاري! فكّر قليلاً! هل يوجد سحر أعظم من السحر الذي مارسه هتلر وحوّل من خلاله الأمة الألمانية العظيمة إلى قطيع من الأغنام الخانعة؟ هل يوجد سحر أعظم من السحر الذي مارسه ستالين؟ أو مارسه موسوليني؟ . قوة البشر الأشرار تفوق ، في رأيي ، قوة السحرة مجتمعين ، والشياطين مجتمعين» . طافت بذهني أقوال قنديش عن اتصال هتلر ورفاقه بالشياطين ، ولكني آثرت ألاّ أثير هذه النقطة . قلت : «مشكلتك مع الجنس ، إذن ، نابعة من تأثيرات بشرية؟!» . قالت : «عزيزي

ضاري! الأمر لا يستعصي على الفهم . تعرضت لمأسٍ خلال إقامتي في مدرسة داخلية على يد ذئاب بشرية ، مأسٍ جنسية كما بوسعك أن تتصور . لا جدوى من ذكر التفاصيل . يكفي أن تعرف أن ما تعرضت له في طفولتي هو المسؤول عن مشكلتي الراهنة ، عن رعبي من الجنس . لا يوجد سحر ولا سحرة» . صمتتْ قليلاً ، ثم استطردت : «لا تترك هذه المسألة تزعجك . طبيبتي النفسية تؤكّد لي أني سأتغلب ، في وقت قريب ، على هذه المشكلة ، وأنا أشاركها التفاؤل» . قلتُ بانفعال : «آبي! من يراك ، من يرى ذكاءك ، من يرى شخصيتك القويّة ، من يرى اعتزازك بحريتك واستقلالك ، لا يمكن أن يخطر بباله أنك تعانين مشكلة من أي نوع» . ابتسمت ابتسامة حزينة ، وقالت : «الضعف أحياناً هو مصدر القوة» . قلت : «كيف؟» . قالت : «ألا يجوز أن يكون الاستقلال وسيلة لتجنب أي علاقة حميمة مع الرجال ، والشخصية القوية جداراً لحماية هذا الاستقلال؟» . قلت : «آبي! لو قلت لي هذا كله لكان هناك أمل في نجاح الزواج» . قالت : «لا أظن! حتى عندما ننسى عقد الطفولة والمشاكل الجنسية وصلت إلى اقتناع أن زواجنا لن ينجح» . قلت : «لماذا؟» . قالت : «حسنٌ! أرجو ألا تغضب!» . قلت : «لن أغضب» . قالت : «أعتقد أنك كنت تتوقع مني ما لا تستطيع أي زوجة أمريكية ، لا أقول أي زوجة ، أقول أي زوجة أمريكية ، تقديمه لك» . قلت : «زوجة أمريكية؟! كنت أعتقد أنك تؤمنين بالتجارب الواحدة التي تجمع البشر أجمعين» . ابتسمت ، وقالت :

«ضاري! لا تغش! التجارب البشرية الواحدة حقيقة ، وتباين السلوك بين المجتمعات حسب مراحل تطوّرها حقيقة أخرى . لا يوجد تعارض بين الحقيقتين» . قلت : «صدقيني إذا قلت لك إني لا أفهم ما تقولين» . قالت : «أعتقد أنك تفهم . أنت قادم من مجتمع يختلف دور الزوجة فيه عن دور الزوجة الأمريكية» . قلت بحدّة : «هل سنعود إلى البدائيين والمتحضرين؟! الزوجة المتخلّفة التي تباع وتشترى كقطعة أثاث ، والزوجة المتحضرة التي يعاملها الزوج على قدم المساواة؟!» . قالت : «وعدت ألاّ تغضب . لم يطفْ ببالي شيء من هذا . أنت تعيش هنا منذ سبع سنوات أو أكثر . ألم تلاحظ أن العلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمع الأمريكي ليست قائمة على المساواة؟» . قلت مستغرباً : «آبي! ماذا تعنين؟» . قالت : «على الرغم من كل ما يقوله الذكر الأمريكي عن فحولته ودمائه الحمراء الساخنة فالزوج يتوقع من زوجته أن تعامله وكأنها الرئيس وهو المرؤوس» . قلت : «لم أفهم!» قالت : «انظر حولك! ألا تلاحظ أن الزوج ، دائماً وأبداً ، يفتح باب السيارة لزوجته؟» . قلت : «لاحظت» . قالت : «هل فتحت أنت لي باب السيارة مرة ، مرة واحدة فقط؟!» . قلت مرتبكاً : «عفواً! كنت أعتقد . . أعني كنت أتصور . .» . قاطعتني مبتسمة : «لا مُبرر للاعتذار! أنت تتوقع أن تفتح الزوجة باب السيارة بنفسها» . قلت : «هذا صحيح!» . قالت : «وتتوقع أن تمشي وراء الرجل عند دخول المطعم . وتتوقع أن تسحب هي مقعدها وتجلس عليه دون مساعدة من الزوج . وتتوقع أن تذهب وتعود ، والرجل

مستقر على كرسيه لا يقوم عند ذهابها أو عودتها . وتتوقع أن تحمل أكياس التسوّق بنفسها . وتتوقع . .» . قاطعتها : «آبي! لا حاجة إلى اللف والدوران . ماذا تريدين أن تقولي؟» قالت : «أريد أن أقول إنك تريد أن تكون سيد المنزل . هذا شيء طبيعي . أنت من مجتمع يعتبر الزوج رأس العائلة ، ويرى أن الزوجة المطيعة هي الزوجة المثالية . وفي مجتمعك تقبل الزوجة هذا الوضع لأنها لا تعرف وضعاً غيره . أنا جزء من مجتمع - الأصح أن أقول إني جزء من شريحة من مجتمع - وأرى ، كما ترى الشريحة التي أنتمي إليها ، أن المرأة هي الطرف الأقوى في معادلة الزواج» . قلت : «آبي! ولكنك لم تحاولي أن تبحثي معي . . .» . قاطعتني : «حاولت ، بطريقتي الخاصة ، أن أتأقلم معك ، ومع تصرفاتك ، ولكنني لم أستطع» . قلت : «كنا متزوجين . كان المفروض أن تبحثي هذه الأشياء معي بكل صراحة» . قالت : «حسنٌ! سوف أتحدث ، الآن ، بكل صراحة . أنت لم تطبخ قط . أو تنظف الأطباق . أو تساعد في تنظيف المنزل . ولم تشتر الطعام من البقالة . ولم تأخذ الثياب إلى المغسلة . هل أستمر؟ القائمة طويلة بعض الشيء» . قلت : «استمري!» . قالت «لا . ما يهم هو أنني وصلت إلى اقتناع أنك لا تريد زوجة . تريد امرأة جميلة تجيد المهام المنزلية ، وتحقق كل رغباتك ، وتستمع . .» . قاطعتها : «آبي! كلامك بعيد عن الإنصاف» . قالت : «سأحاول أن أكون منصفة . لا أعتقد أنك كنت تبحث عن هذا كلّه بعقلك الواعي . عقلك الباطن هو الذي كان يبحث عن هذه الزوجة ، عن هذه المرأة

الاستثنائية ، هذه المرأة غير الطبيعية ، هذه المرأة التي تعتقد أنها سحرتك وسحرتني» . وقعت هذه الكلمات عليّ موقع الصاعقة ، وعندما استرددت قدرتي على الكلام ، قلت : «آبي! آبي! هل أنت ساحرة؟! كيف عرفت عن زوجتي الأولى؟! أنا لم أقل لك شيئاً عنها . كان الجميع يعتقدون أنها صديقتي» . ابتسمت آبي ، وقالت : «أرجوك! لا تنسب إليّ قوى غير طبيعية كقوة أصحابك السحرة في القبائل الهندية . كان هذا مجرد استنتاج منطقي . أنا لا أعرف أنك كنت متزوجاً قبلي . لم تخبرني ولم أسأل» . قلت : «حسنٌ! أعتذر! كان المفروض أن أخبرك من قبل . كنت متزوجاً بامرأة غريبة بعض الشيء ، تستطيعين أن تقولي إنها امرأة غير طبيعية ، امرأة تتمتع بمواهب . . .» . قاطعتني ، وهي تضحك : «ضاري! لماذا لا تعود إليها؟ عُد إليها! أنا أعتقد أنك لن تستطيع أن تعيش إلا معها ، ولن تعرف السعادة إلا معها . عد إليها!» . قلت : «المسألة معقدة جداً . وأنا ، الآن ، أشعر بتأنيب الضمير . أشعر أنني أسأت إليك دون أن أشعر . هل تسامحينني؟» . قادتني إلى الباب وهي صامته ، وهناك عانقتني بحرارة ، وقالت : «لا حاجة إلى تأنيب الضمير أو الاعتذار . عشنا تجربة حافلة ، تركتنا أكثر نضجاً . كانت لنا لحظاتنا السعيدة . وسوف يظل لك في قلبي ، دوماً ، مكان خاص . إلى اللقاء!» . خرجت وتركت آبي وحيدة مع جمالها الآسر ، وذهنها الوقاد ، وذكريات شياطين البشر التي تنهش عقلها الباطن .

-١٧-

السّر الخطير:

أكثر من ع. ق واحدة!!

يا حـبـيـبي! كـان اللقـاء غـريبـاً
وافـتـرقنا . . فـبـات كلٌّ غـريبـا

ناجي

بمجرد عودتي إلى شقتي من لقاء آبي رن الهاتف الجنيّ وجاء صوت قنديش : «أخي ضاري! اشتقت إليك!» قلت : «أهلاً وسهلاً! . تفضل!» . خلال دقائق رن جرس الباب ودخل قنديش . بدأ يرتشف البيبسي كالمعتاد ، ويبتسم بحبوره المعتاد . قال : «أخي ضاري! لم نلتقِ منذ مدة . ما هي أخبارك؟» . قلت : «تزوجت ، وطلقت . وحصلت على الماجستير» . قال : «تستحق ، إذن التهنئة ، فالمواساة ، فالتهنئة من جديد» . قلت : «أظن أنك تعرف كل ما حدث» . ابتسم ولم يعلق . ثم قال : «كانت رسالة الماجستير ممتعة جداً إلا أنك لم توضح العلاقة بين «الشامان» والشياطين» . قلت مستغرباً : «قرأت رسالتي؟!» . قال : «واستمتعت بالقراءة . إلاّ أنك كنت جباناً بعض الشيء» . قلت : «ماذا تقصد؟» . قال : «لماذا لم تقل إن الشياطين الشريرة هي التي تمنح «الشامان» قدراته السحرية؟» . قلت : «أخي قنديش! هذه رسالة علمية . لا يوجد لديّ ما يثبت ما تقوله . الهنود الحمر أنفسهم لم يكونوا يؤمنون بوجود شياطين من الجن . كانوا يؤمنون بوجود كائنات غامضة ذات قوى غير طبيعية» . قال : «هذه الكائنات ذاتها هي الشياطين ، وما تقوم به مع «الشامان» لا

يختلف عما تقوم به مع السحرة في كل زمان ومكان ، تعليم السحر لإغواء البشر» . قلت : «المعذرة! لا أستطيع أن أضمّن بحثاً علمياً دعوى لا أستطيع إثباتها» . قال : «سبحان الله! تعرف أن الشيء حقيقة ولا تستطيع ذكره لأنك لا تستطيع إثباته؟!» . قلت : «هذا هو المنهج العلمي» . قال : «وهذا يثبت صحة الوصية الرابعة التي تقول . . .» . قاطعته : «قنديش! رجاءً! لا أريد الاستماع إلى المزيد من الوصايا!» . قال : «حسنٌ! تذكر أنك أنت الذي طلبت . . .» . قاطعته مرة أخرى : «غيرت رأيي!» . ابتسم وقال : «وهذا يثبت صحة الوصية الخامسة التي تقول . . . أنا أمزح معك . لن تسمع بقية الوصايا» . قلت : «شكراً جزيلاً . ما هي أخبار عائشة؟» . قال : «هي بخير وتواصل عملها المعتاد» . قلت : «ألم يحن الأوان لإخباري شيئاً عن عملها المعتاد» . قال : «الخالة تحب عمل الخير ومقاومة الشر ضمن القوانين التي تحكم العلاقات بين الجن والإنس . هذه القوانين معقدة ويصعب عليك فهمها . وأعترف لك أنه يصعب عليّ أنا فهمها» . قلت : «دعنا من القوانين . ما هو عملها المعتاد؟» . قال : «عملها لا علاقة له بالشائعات الشعبية العجيبة التي تنتشر حولها في المغرب» . قلت : «ما هذه الشائعات؟» . قال : «لماذا لا تزور المغرب وتسمع بنفسك؟» . قلت : «وفّر عليّ المشقة وأخبرني» . قال : «حسناً! لأسباب كثيرة منها ما هو تاريخي ومنها ما هو اجتماعي ، يحمل الخيال الشعبي المغربي صورة للخالة لا توجد لها أي علاقة بواقعها» . قلت : «ماذا تقصد؟» . قال : «هناك من يعتقد أنها

تتربص بالرجال وتضاجعهم ثم تقتلهم . وهناك من يعتقد أن رجليها رجلا حمار . وهناك من يخلط بينها وبين كائنات جنية أخرى . هناك مواسم وحفلات وطقوس تقام لعائشة في مختلف أنحاء البلاد . وهناك من يذبح الذبائح ويقدم النذور لها» . قلت : «أعوذ بالله! هذا هو الشرك بعينه! لماذا لا توقف عائشة هذه الممارسات؟» . قلت : «سأقول لك الآن سراً ، سراً خطيراً لا يعرفه إلا أقل من القليل . هل أنت مستعد؟» . قلت : «جرّبني!» . قال : «في حقيقة الأمر ، لا توجد جنية واحدة اسمها عائشة قنديشة» . عقدت المفاجأة لساني عدة لحظات ، ثم قلت : «وزوجتي؟ من هي إذن؟» . قال : «هذا هو اسم زوجتك بالفعل . إلا أن هناك جنيات أخريات يحملن الاسم نفسه ، عشرات الجنيات!» . قلت مذهولاً : «ألا ترى أن الأمر يحتاج إلى تفسير؟» . قال : «سأحاول إيضاح الأمور . كانت هناك قبل مئات السنين جنية مستأنسة اسمها عائشة ، ولسبب مجهول أضيف إليها لقب قنديشة . كانت هذه الجنية تقطن المغرب وكانت مؤمنة تقية صالحة تحب مساعدة الإنس ومقاومة الشياطين . ظل هذا حالها إلى أن توفاها الله . بعد ذلك أخذ عدد من الجنيات يتسمين باسمها ، ومعظمهن يفعلن ذلك من باب الإعجاب بها ورغبة في الاستمرار في العمل الصالح الذي عرفت به» . قلت : «وزوجتي واحدة منهن؟» . قال : «نعم» . قلت : «وما اسمها الحقيقي؟» . قال : «تذكر ما سبق أن قلته لك . أنتم لا تستطيعون نطق أسمائنا» . قلت : «هذا شيء عجيب!» قال : «والأعجب ،

والشيء المزعج ، أن عدداً مماثلاً من الشيطانات الشريرات يتسمّين بالاسم نفسه» . قلت : «شيء غريب! لماذا؟» قال : «لإغواء البشر وإدخالهم في الشرك . وهن اللواتي يغرين أتباعهن بتقديم النذور والقرابين . وهن اللواتي تقام لهن المواسم وحفلات الزار . وهن المسؤولات عن السمعة المخيفة المرتبطة باسم عيشه قنديشة في المغرب» . قلت : «وزوجتي؟» قال : «هي والجنيات المؤمنات يقاومن الشيطانات الشريرات طيلة الوقت» . قلت : «أخي قنديش! يبدو أن عالمكم أكثر تعقيداً مما تصوّرت» . قال : «الحقيقة أن عالمكم معقد مثل عالمنا أو أكثر» . قلت : «ما يعنيني ، الآن ، من هذا كله ، أن أعرف أن زوجتي هي زوجتي وليست عائشة قنديشة أخرى ، طيبة أو شريرة» . قال : «صدقني! زوجتك هي زوجتك» . قلت : «ألا يوجد احتمال أن تنتحل جنية شريرة شخصيتها؟» . قال : «لا» . قلت : «لم لا؟» . قال : «أخي ضاري! لن أكذب عليك . لا يوجد احتمال كهذا» . قلت : «أليس من الأفضل ، والمسألة بهذا التعقيد ، أن تختار لها اسماً آخر؟» . قال : «لا ترضى الخالة بتغيير اسمها . هي معجبة جداً بعائشة الأصلية وتعتبر حياتها امتداداً لحياة تلك الجنية الطيبة» . قلت : «أخي قنديش! رأسي يدور! هناك عشرات من الجنيات ، بعضهن طيب وبعضهن شرير ، وكلهن يحملن اسم عائشة قنديشة؟!» . قال : «هذا هو الوضع ، باختصار . وعندما تذهب إلى المغرب وتسمع عن عجائب وغرائب تنسب إلى عائشة قنديشة تذكر هذه الحقيقة» . قلت : «حسناً! أحتاج إلى بعض الوقت لاستيعاب ما

سمعته منك . ومع ذلك أنا أعتقد أن ما سمعته ، على الرغم من غرابته ، لا يغيّر شيئاً في طبيعة علاقتي بعائشة» . قال : «صدقت» . قلت : «لم تقل لي شيئاً يشفي الغليل عن العمل الصالح الذي تقوم به عائشة ، أعني عائشتي!» . قال : «حسناً! سوف أعطيك بعض الأمثلة . سبق أن قلت لك إن الشياطين تستطيع إصابة الإنس بالمسّ . تحاول الخالة علاج هذه الحالات ، دون أن يعرف المصاب . وسبق أن قلت لك إن الشياطين تعقد شراكة مع السحرة . تحاول الخالة التخفيف من الآثار الشريرة الناشئة عن هذا التحالف . أحياناً تستطيع فعل شيء ، وأحياناً لا تستطيع . تذكر أن بين الشياطين والشيطانات من يفوق الخالة قوة . حقيقة الأمر أن الخالة عرضت حياتها للخطر أكثر من مرة في معارك غير متكافئة مع شياطين أو شيطانات» . قلت : «أخبرني ، إذن ، بلا محاولة للتملّص أو التهرب ، لماذا تقوم جنية خيّرة صالحة بسحري وسحر آبي وجعلنا عاجزين عن ممارسة حياتنا الزوجية الطبيعية حتى انتهى الأمر بالطلاق؟!» . ضحك قنديش ، وقال : «أرجو أن تعذرني إذا قلت إني استمعت إلى حوارك مع آبي . . .» . قاطعته منفعلاً : «هذا فضول وتجسس وتطفّل! من أعطاك الحق في . .» . قاطعني بدوره : «وأعتقد أن آبي كانت أقدر منك على تحليل الموقف . لم يكن هناك سحر من أي نوع» . قلت : «ولكن . . .» . قال : «ولكن الخالة بسبب إقامتها في المغرب تقمصت الكثير من خصال المرأة المغربية ، أعني المرأة المغربية الساحرة» . صرخت : «الساحرة؟! الساحرة؟! أنت ،

تعترف ، إذن بوجود سحر؟!» . قال : «تيك إت إيزي ، كما يقولون هنا . في المشرق العربي هناك اعتقاد شائع أن المغرب بلاد السحر ، وأن المرأة المغربية قادرة على سحر الرجل الذي تريده» . قلت : «لم أسمع هذا من قبل» . قال : «حسناً! هناك أشياء كثيرة جداً لم تسمع بها . صدقني! هذا هو الاعتقاد الشائع» . قلت : «وهل المرأة المغربية ساحرة بالفعل؟» . ابتسم قنديش ، وقال : «أخي ضاري! هناك المرأة المغربية ، وهناك المرأة المغربية العاشقة . الأولى لا تختلف عن أي امرأة في الدنيا . أما الثانية ، العاشقة ، فلا توجد امرأة أخرى في الدنيا تشبهها» . قلت : «كيف؟» . قال : «عندما تحب المغربية رجلاً تجعله ملكها وسلطانها وسيدها وطفلها وصديقها وعشيقها ، وتجعل وجودها كله مكرّساً لحبّه» . قلت : «عجيب! وما الذي يجعل المغربية العاشقة تختلف عن المصرية العاشقة أو اللبنانية العاشقة؟!» . قال قنديش : «سبحان اللّه! وما أدراني أنا بغرائبكم وغرائب نسائكم معشر الإنس؟! أستطيع أن أصف لك الظاهرة ولكنني لا أستطيع تفسيرها . لماذا لا تكتب رسالة الدكتوراه عن هذا الموضوع؟ قد تكتشف السر الذي غاب عن الجميع» . تجاهلت سؤاله وقلت : «تعني أن الخالة عندما تعشق تتصرف كما . . .» . قال : «تماماً! تتصرف كما تفعل المغربية العاشقة كما رأيت بنفسك» . قلت : «حسناً! حسناً! وماذا عن المستقبل؟» . قال : «إذا أردت رؤية الخالة من جديد فبوسعنا أن نبدأ المفاوضات» . قلت : «أخي قنديش! خرجت ، لتوي ، من طلاق ، من حياة زوجية معقدة وبائسة ، وبدأت لتوي ، برنامج

الدكتوراه . أعتقد أن المحارب بحاجة إلى استراحة» . قال : «كما تشاء . سأجيء عندما تطلب مني المجيء» . قلت : «هل أنت متأكد أني سأطلب منك المجيء؟» . قال : «أخي ضاري! كلما طالت إقامتي بينكم ، زاد عجزي عن فهمكم ، الأمر الذي يذكرني بالقول المأثور لدينا ، ولا أقول الوصية ، لا تحاول توقّع ردود الفعل الإنسية» . قام واتجه إلى الباب وذهبت معه . قبل أن يخرج صافحني مبتسماً وقال : «وعلى الرغم من ذلك فأنا أعتقد أنك ، ذات يوم ، ستشتاق إلى الخالة وتطلب بدء المفاوضات» .

-١٨-

حوار غير تقليدي

مع البروفسورة ماري هدسون

لا رُدّ لي عقلي . . ولا ثاب النُهى
مــا دام يعــذبُ في هواكِ جـ[illegible]

لم تستغرب البروفسورة ماري هدسون، رئيسة قسم الأنثروبولوجي في الجامعة، عندما طلبت منها إعطائي وقتاً كافياً لبحث موضوع يشغل بالي، ولم تستغرب حين رجوت أن يكون اللقاء في منزلها. علاقتي بالبروفسورة كانت ممتازة منذ أول كورس درسته معها وحصلت فيه على درجة عالية. توطدت العلاقة عبر السنين مع عدد من الكورسات، وقويت أكثر فأكثر عندما أصبحت الأستاذة المشرفة على رسالة الماجستير. خلال إعداد الرسالة كنت أراها بمعدل مرة كل شهر، في منزلها أحياناً. في هذا المنزل الصغير الذي يطلّ على البحر في سانتا مونيكا وجدت البروفسورة في انتظاري. صافحتني مبتسمة وقالت: «حسنٌ، أيها الشاب! شاياً مثلجاً كالعادة؟». قلت: «كالعادة!». جاءت بإبريق مليء بالشاي وقطع الثلج وكأسين ملأتهما، وقدمت لي كأساً، وأخذت ترشف من الثانية، وقالت: «حسناً! ماذا يشغل بالك؟». قلت: «أشعر بكثير من الحرج، فالموضوع غريب جداً، وقد تستغربين أن يبحثه طالب دراسات عليا في الأنثروبولوجي». ابتسمت البروفسورة، وقالت: «الأنثروبولوجي علم مختلف عن بقية العلوم. لا توجد حول هذا العلم أبواب أو أسرار من حديد.

هو علم شاب مغامر يفتح كل يوم آفاقاً جديدة . كل شيء إنساني هو موضوع صالح للأنثروبولوجي» . قلت : «أخشى أن حديثي اليوم لن يكون عن شيء إنساني!» . ابتسمت البروفسورة ، وقالت : «حسناً! دعني أضع المسألة على هذا النحو . كل ما يهم الإنسان ، سواء كان الشاغل إنسانياً أو غير إنساني ، يدخل تحت عباءة الأنثروبولوجي» . قلت : «هذا يسهّل عليّ الأمر . باختصار شديد ، هناك صديق لي ، هو في الوقت نفسه قريبي ، يدّعي وجود علاقة جسدية مباشرة بينه وبين كائن غير إنساني ، جنيّة على التحديد» . قالت : «جنيّة؟! مثل الجنيّ الذي يسكن مصباح علاء الدين؟!» . قلت : «تنتمي إلى النوع نفسه ، إلاّ أن جنيّ المصباح مجرد إسطورة» . ضحكت البروفسورة ، وقالت : «أرجو أن تعذرني . معلوماتي عن الجن مقصورة على حكايات ألف ليلة وليلة التي قرأتها ، وأعجبت بها ، في بداية دراستي الجامعية . منذ ذلك الحين لم أسمع الكثير عن الجن» . قلت : «أظن ، ولا أجزم ، أن الاعتقاد بوجود الجن يقتصر على المسلمين . لدى غير المسلمين أسماء أخرى لكائنات أخرى . نحن المسلمين نعتقد أن اللّه خلق نوعين مختلفين من المخلوقات ، البشر ، أبناء آدم ، الذي خلق من طين . .» . قاطعتني البروفسورة : «هذا لا يختلف عما يقوله العهد القديم» . قلت : «والجن ، وهم مخلوقات لا نراها خلقت من نار . . .» . قاطعتني مرة أخرى : «إذا كنت تقصد الشياطين فهناك إشارات كثيرة إليها في العهد القديم والعهد الجديد . إخراج المسيح الشياطين من أجساد البشر ورد في العهد

الجديد» . قلت : «أظن أن هناك فرقاً بين ما نعتقده وما تقوله الكتب المسيحية المقُدسة . الشياطين في التراث المسيحي شريرة ، مفطورة على عمل الشرّ . أما الجنّ ، في المفهوم الإسلامي ، فينقسمون إلى قسمين ، قسم طيّب ، وقسم شرير . لا أعتقد أن شياطيننا تختلف عن شياطينكم . ولكني أعتقد أن الجن مخلوقات لا يعرفها التراث المسيحي» . فكرت البروفسورة قليلاً ، وقالت : «حسناً! مرونتي الذهنية لا تعرف الحدود ، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بالميتافيزيقيا . لا أجد مشكلة في قبول شياطين من نوع خيّر يسميها المسلمون الجن» . قلت : «إذا أردت الدقة يجب أن أقول إن كل الشياطين جنّ ، ولكن ليس كل الجن شياطين» . ابتسمت وقالت : «حسناً! لا توجد لديّ مشكلة في قبول هذا . ماذا عن قريبك؟» . قلت : «قريبي يدّعي وأنا أصدّقه ، أنا أصدّقه حقاً لأني أعرفه جيّداً ، أنه أقام علاقة صداقة تطوّرت إلى علاقة جسدية مع جنية تزوره على هيئة امرأة بشرية» . كنت أتوقع أن أرى علامات الدهشة والتكذيب على وجه البروفسورة ، ولكني لم أر شيئاً من هذا القبيل . قالت بهدوء : «دعوى الاتصال الجسدي بكائنات غير بشرية ، شيطانية أو ذات طبيعة مجهولة ، كانت جزءاً من التجربة البشرية ، حتى في المجتمعات التي نعتبرها متحضّرة» . قلت : «إذن فانتِ تصدّقين ادعاء قريبي؟!» . قالت : «أنا أسرد حقيقة تاريخية . ادعاء صديقك ليس فريداً أو جديداً . في أيام الإغريق كانت آلهتهم ، وهي بالتأكيد تختلف عن البشر ، تقيم علاقات جنسية مع البشر . الآلاف ، أو ربما

عشرات الآلاف ، فهنا لا توجد إحصائيات دقيقة ، اعتقدوا أشياء
مماثلة . وفي المستقبل أنا واثقة أن هناك من سيدّعي الادعاء
نفسه» . صمتت البروفسورة قليلاً ، ثم قالت : «أدبيات السحر
والسحرة مليئة بقصص الاتصال الجنسي بين الشيطان ونساء
البشر . الغريب في الأمر أن الروايات كلها تجمع أن المرأة خلال
الاتصال تحسّ بألم شديد مقرون ببرودة شديدة لا تطاق» .
ابتسمت ، وأضافت : «يتوقّع المرء عند الالتحام بهذا الكائن
الناري أن يكون الشعور بالحرارة الشديدة ، أليس كذلك؟!» .
تجاهلت السؤال ، وقلت : «عندما يوجد الآلاف الذين يتحدثون
عن تجربة ما ، أي تجربة ، عبر عصور مختلفة ، ألا يعني هذا أنه
يصعب أن نفترض أنهم تواطأوا على الكذب؟» . قالت : «من قال
شيئاً عن الكذب؟!» . قلت : «إذن ، فأنت تصدقين . . .» .
قاطعتني : «التصديق والتكذيب ردود فعل عاطفية ليس لها
علاقة بالبحث العلمي . أن تصدّق بشيء لا يجعل من الوهم
حقيقة ، وأن تكذّب بشيء لا يجعل من الحقيقة وهماً . دعنا من
البحث الفلسفي عن طبيعة المعرفة ، الآن . حدّثني عن
صديقك . هل خلّفت له التجربة انهياراً عصبياً؟ هل جعلته
يعتقد أنه أصبح ساحراً ، أو ربّما قدّيساً؟» . ضحكت ، وقلت :
«لا! لا يوجد شيء درامي كهذا . هو يحيا حياة طبيعية تماماً . لا
يدّعي أنه أصبح يتمتع بقوى غير طبيعية ، ولا أنه صار قدّيساً .
وهو ، بالتأكيد ، لم يصب بانهيار عصبي» . قالت : «هذا شيء
طيب . الاتصالات الجنسية في الأدبيات تقود ، عادة ، إلى نتائج

سيئة ، وأحياناً إلى نتائج مأساوية . لا بد أنك تعرف ما حدث
في أوروبا ، وحتّى هنا ، أيام حرق الساحرات . كانت التهمة
الرئيسية هي الاتصال الجنسي بالشيطان . لنعد إلى صديقك ،
هل هناك المزيد من التفاصيل؟» . قلت : «التفاصيل كثيرة جداً
ولكنها لا تهم كثيراً . جوهر المسألة أنه يقول إنه عاشر الجنية
معاشرة الأزواج ، من ناحية الجنس ومن كل النواحي ، قرابة سنة
كاملة ، ثم اختلفا وانفصلا» . تنهدت البروفسورة ، وقالت :
«اختلفا وانفصلا؟! اختلفا وانفصلا؟! هذا يحدث بين البشر كل
يوم . ما هي مشكلته؟» . قلت : «مشكلته أنه يعتقد ، أحياناً ، أن
الموضوع بأكمله مجرد هلوسة استغرقت وقتاً طويلاً . أحياناً ،
يعتقد أنه تخيّل كل ما حدث» . قالت : «مع نوع معين من
الشخصيات هذا ممكن . في أدبيات علم النفس ما يؤكد وقوع
هلوسة من النوع الذي تتحدث عنه . يمكن أن يعيش الشخص
في عالم خيالي لا علاقة له بعالمنا العادي ، ولكن هذا الشخص
لا يعتبر طبيعياً بل مريضاً بحاجة إلى علاج» . صمتت
البروفسورة ثم نظرت إليّ ، وجهت نظرتها إلى عيني مباشرة ،
وقالت : «لو كنت أعرف الشخص لكان بإمكاني أن أبدي رأياً .
يكفي أن أقول إنه لو كان يتمتع بشخصية قريبة من شخصيتك
فأنا أستبعد نظرية الهلوسة الطويلة» . احمر وجهي ، أعتقد أنه
احمرّ على أية حال ، وخطر ببالي أن البروفسورة تدرك أن الحديث
عني وليس عن قريب مزعوم ، ومع ذلك واصلت الخداع :
«شخصيته متوازنة . وقد كان خلال الفترة التي وقعت فيها

التجربة يقوم بواجباته الطبيعية على نحو طبيعي ، ولا يزال حتى هذه اللحظة .» قالت : «إذن بوسعنا أن نفترض أنه لم يتخيل القصّة من أولها إلى آخرها . .» . لم أستطع أن أصبر ، وقاطعتها : «إذن ، فأنت تعتقدين أنه كان ، بالفعل ، يقيم علاقة مع جنية؟! . أنت تعتقدين أن هذا بالإمكان!» . صمتت قليلاً ، ثم قالت : «ضاري! أخشى أني سوف ابدأ محاضرة قد تطول بعض الشيء . هل أنت مستعد للاستماع؟» . قلت : «بكل تأكيد! وبكل سرور!» . قالت : «حسنٌ! السحر ، وأنا أقصد السحر بأوسع معانيه ، ولد قبل الأنثروبولوجي بقرون طويلة جداً ، ومن يدري ، فقد يبقى بعد اختفاء الانثروبولوجي بقرون طويلة جداً . عندما بدأ علم الأنثروبولوجي المعاصر مع بداية حركة التنوير في أوروبا ، تعامل هذا العلم مع السحر باعتباره ظاهر معروفة في المجتمعات البدائية ، وفي المجتمعات البدائية وحدها ، وعندما توجد في المجتمعات المتقدمة فإنها لا توجد إلا لدى شريحة صغيرة من السكان متخلّفة وجاهلة . السحر ، في نظر الأنثروبولوجي ، ظاهرة بدائية يصفها الباحث بحياد دون أن يؤمن بتأثيرها الفعلي . لقد فعلت أنت ذلك في رسالتك عن «الشامان» والقبائل الهندية . الاتجاه الرئيسي ، في علم الأنثروبولوجي ، منذ بداية العلم وحتى هذه اللحظة ، لا يؤمن بالسحر كحقيقة موضوعية . هذا الاتجاه يتعامل مع العامل المادي وحده ، العامل الذي يرى بالعين ويلمس باليد ، باعتباره العامل الحقيقي ، أما ما عدا ذلك فأساطير وخرافات للباحث أن يدرسها ولكن ليس له أن يصدّقها» . قلت :

«إذن فأنت لا تصدقين» . قاطعتني مبتسمة وهي ترفع كفها في وجهي : «صبراً! صبراً! تحدثت عن الاتجاه الرئيسي في العلم ، الاتجاه الذي تمثّله الجامعات والجمعيات المهنية والدوريات المتخصصة والمؤتمرات . إلا أنه ، بالإضافة إلى الاتجاه الرئيسي ، توجد ، في كل علم ، اتجاهات فرعية لا تسير في التيار الرئيسي ، اتجاهات تستطيع أن تسميها راديكالية أو غير ارثوذكسية . الاتجاه الرئيسي يتجاهل هذه التيارات ويعمل على تهميشها وقتلها إن أمكن . إلا أنه حدث في الماضي ، ويمكن أن يحدث في المستقبل ، أن يتحول اتجاه هامشي إلى اتجاه رئيسي . مثل هذه الأمور تحدث . انظر ، على سبيل المثال ، إلى نظرية فرويد . هوجمت في البداية هجوماً شديداً واعتبرت تأملات مرضية قائمة على أساطير لا علاقة لها بالعلم . ثم أصبحت النظرية الاتجاه الرئيسي الذي ساد علم النفس عقوداً طويلة . ثم بدأت تيارات جديدة تشكك في النظرية من جديد» . قلت : «بروفسورة هدسون! أفهم ما تقولين ولكني لا أعرف ما ترمين إليه» . قالت : «سوف تفهم! بالإضافة إلى الموقف الانثروبولوجي الرسمي ، إن جاز استخدام هذا التعبير ، من السحر ، والسحر بالضرورة يتضمن أنشطة لكائنات غير منظورة ، فهناك لدى بعض الباحثين مواقف مختلفة . من الباحثين من خالف النظرية التقليدية وذهب إلى أن عدداً من القبائل البدائية لا تعتقد أن بوسع السحر أن يغيّر طبيعة الأحداث أو الأشياء أو الأشخاص ، بل تنظر إليه باعتباره رمزاً لا يضر وقد ينفع . هذه القبائل ، على سبيل المثال ، تصنع قواربها

بمستوى عال من المهنية والإتقان ، وبعد ذلك تأتي بساحر يباركها . الاعتماد ينصبّ على متانة القوارب ولكن السحر قد يرفع الروح المعنوية للبحارة ، لا أكثر من ذلك ولا أقل . وفي الاتجاه المعاكس للنظرية التقليدية ، سجّل بعض الباحثين اعتقادهم بفعالية السحر الذي يصفونه ، أعني فعاليته بالمعايير الموضوعية . هناك باحث سجّل أنه رأى بعينيه شعاعاً يحمل الطاقة السحرية ينتقل من كوخ الساحر إلى كوخ الضحيّة» . قلت : «لم أجد شيئاً من هذا في الكتب المُقرّرة» . ضحكت البروفسورة ، وقالت : «أستطيع تزويدك بقائمة كاملة بكتب كتبها باحثون خارج التيار الرئيسي ، ولكني لا أنصحك بقراءتها . لن تحصل على الدكتوراه إذا لم تلتزم بثوابت الاتجاه الرئيسي . المؤسسات الأكاديمية ، بطبيعتها ، محافظة جداً ، وأخشى أنها كثيراً ما تكون رجعية جداً . لنعد إلى موضوعنا . لاحظ عدد آخر من الباحثين أن الإيمان بالسحر أصبح واسع الانتشار في المجتمعات المتحضرة ، أوروبا وأمريكا بالذات ، وأن القول بأنه يقتصر على البدائيين أو على شريحة متخلفة داخل المجتمع المتقدم لم يعد مقنعاً» . في هذه اللحظة خطر ببالي صديقي قنديش الذي كان سيسر بسماع هذه الملاحظة . واصلت البروفسورة : «أصارحك ، يا ضاري ، أني أشارك هؤلاء الباحثين الرأي . هنا ، مثلاً ، في أمريكا يزيد الإيمان بالظواهر الميتافيزيقية يوماً بعد يوم . انظر إلى انتشار لوحة تحضير الأرواح «الويجي بورد» . انظر إلى عدد الأفلام السينمائية التي تتحدث عن

التقمص . انظر إلى عدد الروايات التي تدور حول الأشباح والأرواح» . قلت : «بروفسورة! الإيمان بأرواح لا يعني ، بالضرورة ، الإيمان بجن» . ابتسمت ، وقالت : «عندما يكون الحديث عن كائنات لا أراها بعيني لا يهمني الاسم كثيراً . سمّها أرواحاً أو شياطين أو جناً أو ملائكة . يستوى الأمر عندي» . قلت : «وأنت ، يا بروفسورة ، وأنا أعتذر لأني أوجه إليك سؤالاً شخصياً ، أنتِ هل تؤمنين بوجود كائنات غير منظورة كهذه؟» . قالت : «أنا أؤمن بالله ، بطريقتي الخاصة ، وأعتنق الديانة المسيحية ، عن طريق الوراثة على أية حال ، ولا أجد صعوبة ، من حيث المبدأ ، في قبول ما وراء الطبيعة» . قلت : «إذن ، أنت ، يا بروفسورة . . .» . قاطعتني : «ضاري! ضاري! ما هي حكايتك اليوم؟! لماذا تصرّ على وضع كلمات في فمي؟! إيماني بالعالم غير المنظور يختلف عن إيمان القبائل البدائية . العالم غير المنظور ، في رأيي ، هو عالم رمزي إلى حد كبير . القبائل البدائية تعتقد أن القوى التي لا تراها ترسم مصيرها وتتحكم في حياتها اليومية ، أما أنا فأعتقد أن مصيري في يدي ، ولا توجد قوى سحرية تتحكم في حياتي» . قلت : «فلنعد إلى صديقي والجنّية!» . قالت : «أنا أعتقد أن صديقك يصدّق بالفعل أنه يتعامل مع جنية ، وأقبل اعتقاده هذا كحقيقة . سوف أروي لك واقعة لا تقل غرابة عن واقعة صديقك . ذهب أحد طلابي بعد حصوله على الدكتوراه من هنا لإجراء دراسات على قبيلة بدائية جداً ، معزولة تماماً عن العالم الخارجي ، في أعماق غابات الأمازون . هذا

الباحث لم يقتنع بفعالية السحر الذي يمارسه أفراد القبيلة فحسب ، بل تعلّمه من أفراد القبيلة . لم يقف الأمر عند هذا الحدّ . بدأ الباحث يمارس السحر ويعتقد أنه يستطيع التأثير في الآخرين عن طريق سحره . عندما حدثني عن تجربته قلت له إني أصدّق أن هذا ما يؤمن به ، ولكنني لا أستطيع الإيمان بفعالية سحره إلا إذا تمكن من سحري شخصياً . كان جوابه هو أنه لا بُدّ من الإيمان بالسحر مقدّماً لكي يمكن للسحر أن يكون مؤثراً . وهكذا وجدت نفسي في حلقة مفرغة : أنا أطلب الإثبات ، والإثبات لا يتيسر إلا بوجود اقتناع قبل الإثبات ، وفي هذه الحالة ، ما قيمة الإثبات؟ أكاد أكون واثقة أنني لو طلبت من صديقك إحضار الجنية لي لقال لي لا بد أن تؤمني ، أولاً ، بوجود الجن» . صمتت البروفسورة قليلاً ، وشردت نظراتها في الفضاء البعيد ، ثم قالت : «ولكن ، من يدري؟ قد تتغير الأمور في المستقبل» . قلت : «ماذا تقصدين؟» . قالت : «ما يعتبر حقيقة علمية اليوم ، قد لا يعتبر كذلك بعد قرن أو قرنين ، والعكس بالعكس . ذات يوم ، كان العلماء ، كل العلماء في كل مكان ، يعتقدون أنّه من المستحيل علمياً أن يطير جسم ثقيل ، كالإنسان فضلاً عن الطائرة ، في الهواء . وكان العلماء يعتقدون أن الإنسان يموت لو سافر في مركبة تتجاوز سرعتها أربعين ميلاً» . قلت : «ولكن ألا يختلف الأمر مع الظواهر الميتافيزيقية؟» . قالت : «هناك اختلاف ، بطبيعة الحال ، ولكن المهم أنه حتى الظواهر الميتافيزيقية بدأت تصبح مواضيع صالحة للبحث العلمي

المنهجي . لا بد أنك سمعت عن الباراسيكولوجي . صحيح أن الباراسيكلولوجي لم يصبح علماً بالمعنى الدقيق ، وصحيح أن معظم الباحثين لا يأخذونه مأخذ الجدّ ، ولكن من يستطيع التنبّؤ بالمستقبل؟ هناك قسم صغير في جامعتنا يعنى بهذه الأبحاث . بعض النتائج التي توصل إليها الباحثون يستحيل تفسيرها علمياً» . قلت بلهفة : «مثل ماذا؟!» . قالت : «مثل التلباثي . هناك تجارب موثّقة ومدروسة وروعيت فيها كل الضوابط العلمية ، وانتهت إلى نتائج تثبت وجود حالات تلباثي لا يوجد لها أي تفسير علمي . وهناك القدرة على تحريك أشياء دون لمسها : هناك عدة تجارب مخبرية أثبتت وجود هذه القدرة عند بعض الناس . وهناك تجارب تثبت تجاوب أنواع معينة من النباتات مع الحديث البشري أو الغناء . هذا العلم في طفولته ولا يعرف أحد أين سينتهي . قد نكتشف قوانين جديدة تمكننا من التعرف على صاحبة صديقك» . قلت : «بروفسورة هدسون! أشكرك! لا تتصورين مدى الراحة التي أشعر بها بعد هذا الحديث» . قالت : «على الرحب والسعة! ولكن أرجو أن يبقى الحديث شأناً خاصاً بيننا . لا أريد لأحد أن يتصور أن رئيسة قسم الأنثروبولوجي في هذه الجامعة العريقة بدأت تروّج للفودو . وبالمناسبة ، لا تنس أن توصل تحياتي إلى جنيتك» . لم تدع الطريقة التي قالت بها جنيّتك ، أي مجال للشك في أنها كانت تدرك ، من اللحظة الأولى ، أن الحديث بأكمله كان عني . . وعن جنيتي!

-١٩-

الفاجعة...

وزوجتي الثالثة

طأطأتُ للقـدر المُشّـتتِ هامـتي
وخـفـضتُ للقَـدر المغـيرِ جناحيِ

ناجي

لم أكد أنتهي من الفصل الأول من برنامج الدكتوراه حتى وصلني خبر مباغت فاجع عن وفاة الوالد والوالدة، معاً، في حادث سيارة. سافرت إلى الخبر، وكانت مراسم الدفن قد انتهت وبدأت طقوس العزاء. أعترف لكم، أيها القراء الكرام، بكل خجل، أن حزني على الفقيدين، رحمهما اللّه، جاء أقل مما كنت أتوقّع. هل كانت السنين الطويلة التي قضيتها بعيداً عنهما هي السبب؟ هل تشبعت، دون قصد، بالروح العملية غير العاطفية التي لقيتها في أمريكا؟ هل جاءت الفاجعة الزوجية قوّية إلى درجة جعلتني ألوذ بتبلد الأحساس للفرار من مواجهتها؟ لا أدري، وإن كنت أدري أن الدموع جفّت بسرعة، وعدت بعد فترة حزن قصيرة، إلى حياتي العادية.

إلا أنه إذا كان حزني أقل مما كان متوقعاً، فقد اكتشفت بعد رحيل والديّ أن إعجابي بهما لا يعرف الحدود. خلال حياتهما كان وجودهما أمراً مألوفاً لم أتوقف عنده للتأمّل أو التحليل. بعد رحيلهما، تكشفت لي جوانب مضيئة كثيرة لم أعرها أي اهتمام من قبل. كان أبي رجلاً عصامياً لم ينل سوى قسط محدود من التعليم، ومع ذلك حرص كل الحرص على تعليم أولاده جميعاً.

عند وفاته كان ماجد قد أنهى دراسته الجامعية في الاقتصاد ، وحامد في الزراعة ، وكانت سندس في السنة الثانية في كلية المعلمات . وكانت الوالدة ، على ضآلة حظها من التعليم ، لا تقل حرصاً منه على أن نتعلم ، وكان في المنزل ، دوماً ، جو من الهدوء يساعد على الدراسة . كانت العلاقة بين أبي وأمي من نوع غريب : على السطح لم تكن هناك أي دلائل تشير إلى عمق الحب الذي ربط بينهما ، وإن كنّا جميعاً ، نحسّ مدى قوة هذا الحب وصدقه . كانا يتعاملان بما يشبه التلباثي (آه! البروفسورة هدسون والباراسيكلوجي!) . يستطيع الواحد منهما معرفة رغبات الآخر دون كلمات . لا أذكر أني سمعت الوالد يوجّه إلى الوالدة كلمة قاسية واحدة ، ولا أذكر أني سمعت الوالدة تشكو تصرفاً من تصرفات الوالد ، صراحة أو ضمناً . نجح الاثنان في تزويدنا بتربية ممتازة ، تحنو بلا تدليل ، وتؤدّب بلا قسوة ، رحمهما اللّه!

بعد انتهاء العزاء جاءت مفاجأة لم تكن في الحسبان . طلب أخواي ماجد وحامد رؤيتي على انفراد . كانا يحملان وصية الوالد التي كتبها قبل وفاته بأسابيع قليلة . لم تتضمن الوصية سوى شيء واحد : رغبته أن أتزوج مريم ، ابنة أخيه اليتيمة التي كان يكفلها ، أي ابنة عمي . كان رد فعلي الأول غاضباً وصاخباً : «مريم؟! أنا أتزوّج مريم؟! هذه الطفلة الأمية؟! لن أتزوّجها! لماذا لا تتزوجها أنت يا ماجد؟! أو أنت يا حامد؟!» ، ظللت عدة أيام أرفض حتى التفكير في الزواج ، ولم يحسم الأمر إلا بعد لقاء جمعني ، وجهاً لوجه ، بمريم .

لم أكن قد رأيت مريم منذ سافرت إلى الولايات المتحدة ، وكانت ، وقتها ، في الثانية عشرة أو نحوها . فوجئت أنها لم تعد الطفلة التي أتذكرها . كانت فتاة ناضجة في التاسعة عشرة تتّسم بالكثير من الملاحة . ولم تكن أمّية ، كانت قد أنهت دراستها الثانوية وتستعد لدخول الجامعة . قالت لي ، على استحياء ، إنها سمعت بوصية والدي ، وإن أحداً لم يستشرها ، وإنها تعفيني من الالتزام بطلب الوالد . رأيت أمامي فتاة حسناء خجولاً وضعها القدر أمام موقف صعب ، وسوف يصبح أصعب إذا رفضت الزواج بها . بعد تفكير طويل ، قررت برّاً بالوالد ، من ناحية ، ورغبة في إسعاد هذه الفتاة ، من ناحية أخرى ، أن أتوكل على اللّه وأتزوجها . تم كتب الكتاب بهدوء ، وبلا احتفال من أي نوع . قررت تأجيل ليلة الدخلة إلى ما بعد العودة إلى لوس أنجلس .

حسناً ، أيها القراء الكرام! أعرف أن الفضول يكاد أن يقتلكم لمعرفة ما كان في الليلة الأولى . لا شيء يستحق الذكر! استطاع الزوج أداء واجباته الزوجية ، وتعاملت الزوجة الشابة مع الموقف بما تملكه من حكمة موروثة ، التمنع فالدلال الباكي فالاستسلام فقليل من المتعة . إلا أن هذه البداية السعيدة لم تستمر ، وسرعان ما تبين أن الزواج يمّر بمأزق خطير .

كان بالإمكان أن تنجح التجربة لو أني أوتيت قدراً أكبر من الصبر ، ولو أن مريم رزقت بشيء من روح المغامرة . في غياب هذين العاملين كان الفشل مصير الزواج المحتوم . بعد الأسابيع الأولى تحولت سعادة مريم إلى شقاء . شعرت بالغربة والحنين إلى

الوطن ، وكان هناك حديث يومي لا ينتهي عن رغبتها في العودة إلى أمها وإخوانها وأخواتها . رفضت أن تتعلم اللغة الإنجليزية ، ورفضت أن تشاركني أي جزء من حياتي الاجتماعية . ظلت قعيدة الدار لا تفارقها دقيقة واحدة من ليل أو نهار . كانت تودعني بالدموع وتستقبلني بالعويل . لم يكن ضميري يسمح لي أن أرى هذه الفتاة السجينة الباكية دون أن أتحرك . وكانت العودة ، وكان الطلاق . أحسن ما في قصة مريم أنها بعد الطلاق بشهور تزوجت قريباً آخر . وكل الدلائل تشير إلى أنهما يعيشان ، حتى الآن ، حياة سعيدة ، محاطين بكتيبة صغيرة من الأبناء والبنات .

بعد الطلاق شعرت بشيء من تأنيب الضمير وبفراغ نفسي كبير . لجأت إلى ما يلجأ إليه الشباب الأمريكيون ، والكهول والشيوخ ، فراراً من الفراغ : الانهماك في برامج «تحسين الذات» . كان «تحسين الذات» ، أيامها ، في أمريكا ، وأحسبه ما يزال ، عنصراً أساسياً من عناصر الحلم الأمريكي وركناً أساسياً في مطاردة السعادة . قفزت قفزاً إلى لجة متلاطمة من الأنشطة تستهدف كلها «تحسين الذات» . ولعل القراء الكرام ، الذين لا يعرفون أمريكا جيّداً ، لن يصدقوا إذا ذكرت لهم طرفاً من الأشياء التي انغمست فيها بحثاً عن ذات أفضل . التحقت بناد رياضي ، وناد لليوجا ، وناد للرماية ، وناد للتصوير وناد للموسيقى ، ومعهد لتعليم الرقص ، وبالجمعية الأنثروبولوجية في الجامعة ، وهذا كله ، بالإضافة إلى تكوين مكتبة صغيرة تحتوي على وصفات مضمونة لتحسين الذات جسدياً وعقلياً واجتماعياً وعاطفياً ،

فضلاً عن التخلص من القلق واكتساب الأصدقاء . كل هذه الحركة المتواصلة ، لعل الجنونة الوصف الأدق ، بالإضافة إلى الجهود الكبير المبذول في الدراسة ، لم تدع لي أيّ مجال للتفكير ، أو الكآبة ، أو النساء ، أو حتّى ع .ق!

لا بُدّ أن أضيف هنا ، كملاحظة هامشية ، أن هذه الجهود المكثفة لم تذهب سدى . لا أزال أمارس اليوجا ، ولا أزال أحب الرماية ، ومعلوماتي الموسيقية واسعة جداً ، ولا أزال أعشق التصوير ، ولا أرى مبرراً للحديث عن نتائج التحاقي بمعهد تعليم الرقص!

تتابعت الشهور وحان الوقت لكتابة رسالة الدكتوراه . اخترت موضوعاً غريباً بعض الشيء ، «طقوس الختان عند قبائل الجزيرة العربية : دراسة مقارنة» . كنت أريد البعد عن أي بحث يمت بأيّ صلة للقوى الخفية أو السحر أو السحرة أو الجن . كانت مفاجأة صاعقة عندما اكتشفت ، مع انتهائي من كتابة الرسالة ، أن حبي العنيف القديم لعائشة ، هذا الحب الذي ظل هاجعاً قرابة ثلاث سنوات ، عاد أعنف وأقوى مما كان عليه أثناء علاقتنا القصيرة . يا لهذا القلب المتقلب!

كعادته في كل مفصل رئيسي من مفاصل هذه الحكاية ، عاد قنديش إلى حياتي . اتصل عبر الهاتف الجنيّ ، وخلال دقائق كان معي في الشقة يرتشف البيبسي ، ويبتسم : «أخي ضاري! اشتقت إليك . لم أرك منذ مدة طويلة» . قلت : «شعور بالشوق متبادل» . قال : «أرجو قبول تعزيتي المتأخرة في وفاة والديك ،

رحمهما اللّه!» . قلت : «أشكرك . رحمهما اللّه!» . قال : «كان زواجك بمريم تضحية كبيرة قمت بها تحقيقاً لرغبة والدك . للأسف ، لم ينجح الزواج» . قلت : «كانت النقلة هائلة ومفاجئة لفتاة في سنها وتجربتها ولم تستطع تحملها . دعنا من هذا ، الآن . حدثني عن بحوثك . هل جد جديد؟» . تنهد قنديش ، وقال : «ليتك لم تسأل . أصارحك أني أفكر جدّياً في تمزيق أوراقي ، ونسيان المشروع كليةً ، والعودة من حيث أتيت» . قلت : «ماذا حدث؟! ماذا حدث؟!» . قال : «لم يكن يخطر ببالي حين بدأت البحث أني سوف أصل إلى هذه النتائج المفزعة» . قلت : «المفزعة؟!» . قال : «وأكثر من مفزعة!» . قلت : «ماذا تقصد؟» . قال : «كان يغلب على ظني أن البشر ، في مجملهم ، طيبون ، وأن الشرَّ في حياتهم شيء هامشي جانبي» . قلت : «وماذا تبيّن لك؟!» . قلت : «العكس ، تماماً!» . قلت : «أخي قنديش! قد يكون السبب أن وسائل البحث التي اتبعتها غير دقيقة . أنا لا أزال أعتقد أن معظم البشر يغلب عليهم الخير» . قال : «لو اطلعت على دراساتي ونتائجها لغيرت رأيك . هل تريد الاطلاع عليها؟ هناك عشرات الآلاف من الصفحات» . قلت : «لا! شكراً! انتهيت لتوّي من مجهود أكاديمي مرهق ولا أظن أني مستعد لمجهود آخر . لماذا لا تلخّص لي النتائج؟» . قال : «فساد وشر في كل مكان! في كل مكان! هل تذكر لقاءنا الأول؟ قبل أن نلتقي درست التاريخ الأمريكي ووجدته مليئاً بالشرور . كنت أظن أن أمريكا هي الدولة الشريرة الوحيدة في العالم . تبين الآن ، أن

العالم ، بأسره ، أمريكا! العالم كله شر في شر!» . قلت : «أعوذ باللّه!» . قال : «خذ ، مثلاً ، رجال الدين . ألا تتوقع أن يكون رجال الدين قدوة لبقية الناس؟» . قلت : «هذا ما أتوقعه» . قال : «آه ، يا أخي ضاري ، آه! الكثير من رجال الدين الكاثوليك يمارسون الجنس بانتظام! بانتظام! الكثير من رجال الدين المسلمين يتعاطون الربا بانتظام! بانتظام! الكثير من رجال الدين اليهود يختلسون الهبات المخصصة للمعابد بانتظام! بانتظام! ومعظم رجال الدين ، في كل مكان ، يتحدثون عن الآخرة وشغلهم الشاغل هو الدنيا» . قلت : «دعنا من رجال الدين!» . قال : «إذا كان هذا شأن القدوة ، فماذا تتوقع من الباقين؟ خذ العلاقات الزوجية . الخيانة الزوجية متفشية في كل مكان . في كل مكان! خذ الربا . المرابون يمتصون دم الضعفاء في كل مكان . في كل مكان! خذ الرشوة . يندر وجود آدمي مهما كان مركزه ، كبيراً أو صغيراً ، يعف عن قبول الرشوة ، بشكل من أشكالها العديدة . لديكم قول مأثور لا يوجد لدينا ما يشابهه : لكل إنسان ثمنه . خذ الظلم! كل أنظمة الحكم ظالمة ، بدرجات متفاوتة . في كل مكان طغاة وعبيد ، أغنياء وبؤساء ، متخمون وجائعون» . قلت : «أخي قنديش! وأنت ، بلا شك ، تعتقد أن الشياطين هي المسؤولة عن ذلك كله؟!» . قال : «بطبيعة الحال! ولكن هذا لا يعفيكم من المسؤولية . أنتم الذين تستمعون إلى الشياطين . الشياطين لا يملكون إلا الوسوسة . ولكنكم تستقبلون وسوستهم بترحاب كبير . تستمعون إليها بآذانكم وعقولكم وأرواحكم . ضعفكم الشديد

أمام شهواتكم هو الذي منح للشياطين القدرة على التسلط عليكم» . قلت : «كيف تكون الشياطين مسؤولة عن القهر والطغيان؟» . قال : «الشياطين وأتباعهم من شياطين البشر» . قلت : «أخي قنديش! كثير من الظواهر التي تصفها راجعة إلى قوانين اجتماعية وسياسية واقتصادية . المرتشي لا يرتشي لأن الشياطين توسوس له ولكن لأنه بحاجة إلى الطعام ، وهلم جراً» . قال : «لو كنت ترى الشياطين كما أراهم ، وترى كيف يعملون ، لما قلت هذا الكلام الذي هو ، في الحقيقة ، مجرد تبرير» . قلت : «أخي قنديش! لا جدوى من الجدال . أنت جنيّ وتنظر إلى الموضوع من زاوية تختلف عن الزاوية التي ينظر منها الإنسي . لماذا لا نعود إلى موضوعنا الرئيسي؟» . ضحك وقال : «عائشة؟!» . قلت : «عائشة!» قال : «هل اشتقت إليها؟» . قلت : «كما لم أشتق من قبل . لا أستطيع العيش بدون رؤيتها» . قال : «سبحان اللّه! وهي في المدة الأخيرة لا تفكر إلا فيك» . قلت : «توارد خواطر!» قال : «لماذا لا تعيدان العلاقة خاصة وأن شرطها تحقق مرتين؟» . قلت : «ما رأي عائشة؟» . قال : «لديها شروط بسيطة» . قلت : «هات!» . قال : «في المرة الماضية لم يكن هناك شهر عسل حقيقي . هذه المرة تود الخالة أن تقضي معك شهر عسل في المغرب» . قلت : «هل من الضروري أن يكون في المغرب؟» . قال : «نعم . هذا شرط أساسي . تذكر أن المغرب هو موطنها الإنسي» . قلت : حسناً! وبعد الشهر؟!» . قال : «بعد انتهاء الشهر بوسعكما الوصول إلى قرار حول الخطوة القادمة» .

قلت : «قرار؟!» . قال : «بوسعكما أن تعيشا معاً طيلة الوقت ، أو أن تراها بين الحين والحين ، كما فعلتما في الماضي . أو أن تفترقا» . قلت : «حسناً! بمجرد انتهاء المناقشة وحصولي على الدكتوراه سوف أكون مستعداً لقضاء شهر العسل في المغرب» . قال : «ممتاز! لم يبق سوى شيء واحد ، أو شيئين» . قلت : «ماذا؟» . قال : «في المرة الماضية طلبت أنت منها شيئين : أن تجيء في صورة فاطمة الزهراء ، وألاّ تستعين بمواهب غير إنسية» . قلت : «نعم ، وأفضّل بقاء الشرطين» . قال : «لا! لا! لا!» قلت : «ألا تكفي لاء واحدة؟!» . قال : «الخالة ترفض رفضاً باتاً الالتزام بأيّ من الشرطين خلال شهر العسل . تريد أن تجيئك في الصورة التي تختارها هي ، وأن تغيّر الصورة متى شاءت . وتريد أن تستخدم مواهبها عندما تريد» . قلت : «هذا قد يعقد الأمور» . قال : «على العكس تماماً . هذا يتيح لك أن ترى الجوانب المختلفة من زوجتك ويعينك على اتخاذ القرار النهائي» . قلت : «يجب أن أعرف ، مقدماً ، في أي هيئة ستجيء ، وأية مواهب ستستعمل» . قال : «لا! لا! لا!» . قلت : «هذا موسم اللاءات الثلاثة!» . قال : «الخالة تريد أن تترك كل شيء للظروف والملابسات والمزاج» . قلت : «أخي قنديش! أخشى أن تكون هناك مفاجآت لا أستطيع أن أتحملها» . ضحك قنديش وقال : «تزوجت أمريكية وكانت هناك مفاجأة غير سارة : لم تستطع أن تنام معها . وتزوجت ابنة عمك وكان هناك مفاجأة غير سارة : لم تستطع أن تعيش معها . من حقك بعد هذه المعاناة ، ومن حق زوجتك بعد الصبر الطويل ،

أن تعرفا السعادة في شهر عسل ذهبي لم يتح ، عبر التاريخ كله ، لإنسي قبلك» . قلت بدون تفكير : «أخي قنديش! الحق أقول لك! قتلتني الدراسة قتلاً! قتلتني برامج «تحسين الذات» قتلاً! قتلتني الوحشة اليومية قتلاً! قل لعائشة إني أقبل كل شروطها» . ابتسم قنديش ، وقال : «حسناً! اتفقنا! بمجرد حصولك على الشهادة اتصل بزوجتك على الهاتف الموجود عندك وأخبرها بالموعد وسوف تكون في انتظارك ، في مطار الدار البيضاء ، بطبيعة الحال!» . قلت : «بطبيعة الحال! أماكن الشوق القديم!» قال : «ومن الدار البيضاء تنطلقان إلى مراكش لقضاء شهر العسل» . قلت : «ولماذا مراكش؟» قال : «مراكش هي عاصمة المغرب الحقيقية . روح المغرب لا تتجلى إلا في مراكش . المدن الأخرى مليئة بتأثيرات غير مغربية» . ودعت قنديش ، وعدت وسؤال واحد يملأ رأسي : هل أدخلت نفسي ، راضياً مختاراً ، في عالم الجنون؟! آه لو عرفت الجواب وقتها! آه!

لم أر قنديش بعدها ، وإذا كان الآن ، يقرأ هذه السطور فلا بدّ أن أقدم له اعتذاري ، نيابة عن إخوانه الإنس ، عن خيبة ظنه فيهم ، وأن أرجوه أن يقدّم لنا طبعة «أنسية» من بحوثه . . إذا اكتملت!

-٢٠-

شهر العسل...

والجنون!

إن يوماً واحداً أسعدني
جمع الأفراح طرّاً من شتاتِ

وهو عمرٌ كاملٌ عشتُ بهِ
كل أعمار الورى مجتمعاتِ

ناجي

أرجو أن تعذروني ، أيّها القراء الكرام ، إذا قلت لكم إنه يصعب ، بل يستحيل ، عليّ أن أروي لكم ما دار في شهر العسل بأي قدر من الدقة . معظم التفاصيل ذهبت من ذاكرتي ، ولم تعد . لكم أن تتساءلوا عن سر ذهابها ، ولي أن أقترح نظريات تحاول أن تفسّر ، ولكن هذا لا يغيّر من طبيعة الأمر شيئاً . على أية حال ، سأحاول جهدي أن أروي لكم ما استطاعت الذاكرة أن تحتفظ به .

بدأ الشهر / المغامرة بفتاة سمراء ، جميلة إلى أقصى الحدود ، لم أرها من قبل ، وهي بطبيعة الحال زوجتي ، تستقبلني في مطار الدار البيضاء . (آه! كل الأمور تبدأ في مطار الدار البيضاء!) . انطلقت الفتاة السمراء الفاتنة بي في سيارة فخمة فرنسية الصنع إلى مراكش ، حيث بدأت فصول المغامرة تتكشّف .

أبدأ بالهيئة! كنت أنظر إلى السمراء الحسناء التي تقود السيّارة بجانبي وأتساءل : هل هذه هي المرأة التي عشقتها وتزوّجتها؟ وهل يمكن لإنسان أن يحب امرأة إذا اختلف شكلها تماماً عن شكلها الذي أحبّها فيه؟ وهل نحب ، حين نحب ، «مظهراً» يراه الجميع أم «مخبراً» لا يراه أحد؟ باختصار ،

هل نحب ، حين نحب ، روحاً أم جسداً ، أم مزيجاً من الاثنين؟

أظن أن عائشة كانت تقرأ ما يدور برأسي من خواطر لأنها قالت بلا مقدمات : «حبيبي! ألا تعجبك هذه الصورة؟ اطمئن! لقد قررت أن يكون لكل يوم من أيام شهر العسل صورته الخاصة» . ولم تكن ، أيها القراء الكرام ، تمزح . هذا ما حدث بالفعل . التقيت ، وهذه كلمة مؤدبة لا يخفى مدلولها ، خلال شهر العسل بثلاثين امرأة مختلفة ، كل واحدة منهن خارقة الجمال . وكل واحدة منهن هي زوجتي . شيء يدير الرأس ، أليس كذلك؟! لو أن الأمر وقف هنا لأمكن للدوار أن يقف عند حدود معقولة ، ولكن الأمر لم يقف هنا . زوجتي التي تعتقد أني مللتها في المرة الأولى بسبب الرتابة قررت أن تكون الإثارة هي الصفة الغالبة على شهر العسل الجديد .

بدأت المفاجآت عندما استيقظت في اليوم التالي لأجد أن السمراء الجميلة التي استقبلتني في المطار اختفت ، وأن المرأة التي تحتل السرير بقربي هي صوفيا لورين . نعم ، أيها القراء الكرام ، صوفيا لورين النجمة الإيطالية الشهيرة بدمها ولحمها (إلا أنها تتكلم العربية بلهجة مغربية!) . لكم أن تتصوروا الجموع التي لاحقتنا حيث ذهبنا . ولكم أن تتصوروا الذهول الذي عقد ألسنة الباعة وصوفيا لورين تساومهم بلهجة مغربية خالصة . كان هناك الكثير من الكاميرات ، والكثير من الصور ، ولكن عائشة أكدت لي أن صورتها لن تظهر . (وماذا عن صورتي؟! لم أسأل!) .

كانت صوفيا لورين النجمة الأولى ولم تكن الأخيرة . مارلين مونرو بعثت من مرقدها لتقضي معي يوماً وليلة وتثير الاستغراب حيثما ذهبنا . وإليزابيث تايلور كانت رفيقتي ، أعني زوجتي ، يوماً وليلة . ناتالي ود ، التي تعرف عائشة مدى إعجابي بها ، جاءت بدورها . ولم تنس عائشة إعجابي بجين مانسفيلد ، فجاءت هي الأخرى . وحتى لا تعتقدوا ، أيها القراء الكرام ، أن زوجتي تعاني من عقدة الخواجة ، أقول إنه كان هناك عدد من نجمات الشاشة العربية ، أفضّل أن أضرب صفحاً عن أسمائهن ، خاصة وأن بعضهن لا زلن على قيد الحياة ، وقد اعتزلن بعد أن اعتزلتهن الشهرة ، وتحجبن بعد أن حجبت عنهن الأضواء .

أصرّتْ زوجتي على أن تستضيفني استضافة كاملة خلال الشهر ، واشترطتْ ألاّ أسأل عن شيء ، وتقبلت الضيافة شاكراً ، وقبلتُ الشرط على مضض . لم نقض ليلتين متتاليتين في مكان واحد . كنت أجد نفسي كل يوم في مكان جديد : في فندق من فنادق مراكش الجميلة (لم يكن عددها تلك الأيام يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة) ، أو في فيلا فخمة مليئة بالخدم والحشم ، يعاملها الجميع وكأنها مالكتها . وكانت هناك سيارة جديدة مختلفة كل يوم . هل كذب قنديش عندما قال إن هذا الشهر سوف يكون تجربة لم يعرفها إنسي قبلي؟ لا لم يكذب .

وماذا عن المواهب الجنية؟! كانت زوجتي تستخدمها كلما عنّ لها أن تستخدمها ، خالقة مئات المشاهد الطريفة . لم أكتشف

مدى تأصّل حسن الدعابة في زوجتي إلا خلال هذا الشهر . لا يمكن أن أنسى كم ضحكنا وهي تعبث بالحواة في جامع الفناء ، مكاننا المفضل كل مساء . كانت تجعل الحية تنقض على الحاوي المسكين وتنهشه ، فيهرب الرجل والحية تتبعه ، والمشاهدون يستمتعون بمنظر يظنونه جزءاً من السيناريو . وكانت هوايتها المفضلة العبث بالمشعوذين الذين يشغلون محلات مغطاة بالستائر حول الميدان . كنا ندخل ، ونجلس أمام المشعوذ ، وتطلب عائشة منه حجاباً يحميها من السحر ، وتدفع له الثمن ، وينهمك صاحبنا في الكتابة . سرعان ما تبدأ الطاولة في الاهتزاز ، ثم ترتفع عن الأرض ، ويقوم صاحبنا مذعوراً بمغادرة المكان ، ويعدو حول الميدان ونحن نتبعه ونضحك . ومن الذكريات التي لا زالت عالقة في ذاكرتي مشهد السائح الأوروبي الذي نظر إلى عائشة بشهوة ، كانت ليلتها في صورة راقصة عربية شهيرة! ، فابتسمت له ، وشجعته ، وأمسكت بيده ، وسارت بقربه . عندما التفت وجد بجانبه امرأة شمطاء مخيفة الملامح بارزة الأسنان . للقراء الكرام أن يتخيلوا ما حدث للسائح الشبق!

وكانت هناك تجربة مخيفة بعض الشيء . قالت عائشة إنها تريد أن تريني ساحراً حقيقياً . وأضافت أنه لا يوجد في مراكش كلها سوى ساحرين حقيقيين أو ثلاثة ، على الرغم من أن المنطقة تعجّ بالآف المشعوذين . تغلب الفضول على الحكمة ، ووافقت . ذهبنا معاً إلى بيت صغير في زقاق ضيق مظلم . دخلنا وانتظرنا مع عشرات المنتظرين والمنتظرات في غرفة صغيرة سيئة الإنارة

كئيبة المنظر حتى جاء دورنا . ذهبنا إلى غرفة صغيرة أخرى رأينا فيها رجلاً في منتصف العمر ، رثّ الثياب ، زائغ النظرات ، يجلس مستنداً إلى الحائط وأمامه دكة خشبية صغيرة عليها أوراقه . كانت الغرفة مليئة بروائح كريهة خانقة ، وكانت مظلمة إلاّ من سراج صغير على دكة الساحر . نظر إلينا الساحر ولم يقل شيئاً . قالت عائشة إنها تريد «عملاً» يقتل ضرتها ، ودفعت له الثمن الباهظ الذي طلبه ، واخترعت اسماً وهمياً للضرة المزعومة واسماً وهمياً آخر لأمهّا . بدأ الساحر يتمتم ويهمهم ، وفوجئت بعمود من الدخان الأسود ينبت من الأرض ويمتد إلى سقف الغرفة ، وتبعه عمود ثان وثالث ورابع . فجأة بدأت الأعمدة تتحرك في اتجاهنا . أمسكت عائشة بيدي وجذبتني جذبة شديدة ، ولم أشعر إلا ونحن في الزقاق الضيق نجري بسرعة غير طبيعية . عندما ابتعدنا عن المنزل توقفنا . كنت أرتعد وكانت عائشة مضطربة جداً . قلت : «ماذا حدث؟!» . قالت : «الشياطين!» . قلت : «أي شياطين؟!» . قالت : «الشياطين التي تعين الساحر أدركت أننا لم نجيء في طلب السحر» . قلت : «ولكنني لم أر شياطين!» قالت : «ألم تر أعمدة الدخان؟» . قلت : «رأيتها» . قالت : «كانت الشياطين داخلها» . قلت : «ولكني لم أرها» . قالت : «هذا من حسن حظك . لا أعتقد أن رؤيتها كانت ستسرّك» . صمتت قليلاً ، وقالت : «اعتذر يا حبيبي! عرضتك للخطر . كان لا بدّ من الفرار . الكثرة تغلب الشجاعة» . كانت هذه الزيارة كافية لإزالة أي فضول كان يراودني عن السحر

والسحرة والشياطين![1]

عندما كنا نخلو إلى أنفسنا ، وكنا نخلو إلى أنفسنا معظم الوقت ، كانت عائشة القديمة تعود إلى عاداتها القديمة . الماء الساخن للقدمين ، الحمام المغربي وروائحه المثيرة ، التدليك الذي يزيل كل الأوجاع وكل الهموم ، وترانيم ما قبل النوم الجميلة . عندما كنا نخلو إلى أنفسنا ، كنت أرى حبيبتي القديمة ، لا أراها في الصورة القديمة التي رفضت بإصرار أن تعود إليها ، كنت أجدها في الهمسات الدافئة القديمة ، في القبلات المسكرة القديمة ، في ليل المتعة الذي أتمنى لو استمر إلى الأبد .

من كان يتصور أن هذه السعادة سوف تنتهي نهاية درامية ، وأوشك أن أقول مأساوية؟ ومن كان يتصور أن حب عائشة العميق هو المسؤول عن هذه النهاية المؤلمة؟ حسناً ، أيها القراء الكرام ، إليكم ، بقدر ما تسمح الذاكرة ، ما حدث في ليلتنا الأخيرة ، نهاية شهر العسل . لم أكن قد وصلت إلى قرار نهائي . قلت لها إن من المستحيل أن نواصل حياة كهذه دون أن أفقد بقية قواي العقلية (كنت واثقاً أني فقدت بعضها خلال الشهر!)

---

(١) أخبرتني عائشة أن هوية الساحر قد تكون مجهولة ، لا يعرفها إلا القلّة ، وقالت إنه ، على خلاف الساحر الذي شاهدناه وخلاف الصورة الشائعة ، فإن الساحر قد يكون رجل أعمال مشهوراً ، أو مسؤولاً حكومياً كبيراً ، أو أستاذاً جامعياً . أستاذاً جامعياً؟! يا للهول! . هل كيسنجر من السحرة؟! وهل «صراع الحضارات» من تأليف الشياطين؟!

ورفضت عائشة العودة إلى نظام الزواج الجزئي . طال النقاش ولم نصل إلى نتيجة ، وقررنا تأجيل القرار إلى الصباح .

عندما ضمّنا السرير لاحظت أن البريق في عينيها يزداد وميضاً ، وأن لون شفتيها أصبح بلون النار . أحسست بشيء من الخوف ولكني تجاهلته . قالت بصوت متهدّج : «ضاري! ضاري! لا أستطيع أن أعيش بدونك . لا أستطيع أن أتخلى عنك! سأذهب معك حيث تذهب» . قلت بصوت مرتعش : «عائشة! ماذا تقصدين؟» . قالت : «أريد أن أكون معك طيلة الوقت ، طيلة الوقت!» . قلت وصوتي لا يكاد يسمع : «حبيبتي! لم أفهم . بدأت تخيفينني! ماذا تريدين؟!» . قالت : «أريد أن أكون معك ، في داخلك» . قلت : «عائشة! لا . .» . لم أستطع أن أكمل الجملة . بدأت عائشة تتحول إلى امرأة شفافة غير ملموسة وبدأ الكابوس الذي لا أزال أرتعد كلما تذكرته . أحسست بوجهها يختفي في وجهي ، بساقيها تختفيان في ساقيّ ، ثم بجسمها كلّه يختفي في جسمي . خلال ذلك كنت أشعر أن كل ذرة في جسمي تشتعل ، وأن جبيني تحول إلى قطعة من الجمر . عندما اختفت تماماً ، سمعت صوتها يحدثني من مكان ما في داخل رأسي ، ثم لم أعد أشعر بشيء .

-٢٠-

الوداع

كـــم تمــنــيّــت وكــم مــنْ
أمَــلٍ مُــــــــــرّ الخَــــــــــداعِ

وقـــفــــةً . . أقُـــرأ فـــيــهـــا
لــك أشـــعــــــــــار الــوادعِ

ناجي

عندما أفقت وجدت نفسي منطرحاً على بساط ، في خيمة صغيرة ، وعلى مقربة مني شيخ وقور بشوش الملامح تفوح منه روائح الطيب ، يضع يده علي جبهتي ويقرأ آيات من القرآن الكريم . في طرف الخيمة ، على مقربة من بابها ، جلست زوجتي ، في هيئة فاطمة الزهراء ، تحاول عبثاً تجفيف الدموع المنهمرة من عينيها .

التفت الشيخ إليّ وابتسم ، وقال : «أحمدُ اللّه على سلامتك ، يا بُنيّ!» . قلت : «الحمد للّه» . ثم التفت إلى عائشة وقال بصوت فيه رنة عتاب واضحة : «يا أمة اللّه! كدت تقتلين الرجل . واللّه لو قتلته لقتلتك به! واللّه! لماذا فعلت ما فعلت؟» . ردت عائشة بصوت خافت : «المعذرة يا سيدي! فقدت عقلي في لحظة جنون» . قال : «فقدت عقلك وتصرفت كما تتصرّف الشياطين؟! ماذا لو مات الرجل؟!» . قالت : «يا سيدي! أنا أحرص عليه حرصي على نفسي ، وأحبه كما أحب نفسي أو أكثر» . قال : «تحبينه؟! ويدفعك الحبّ إلى أن تعبثي بعقله طيلة شهر كامل بخيالات موتى وأحياء؟! تحبينه؟! ويدفعك الحب إلى أن تتقمصيه؟! أنت تعرفين ، تماماً ، أن المسّ عمل محرم منهي

عنه» . صمتت عائشة ، وقال الشيخ : «هل تودين أن تتحولي من جنيّة مؤمنة إلى شيطانة؟!» . قالت : «معاذ اللّه يا سيدي! أستغفر اللّه يا سيدي!» . صمتت ، واستمرت دموعها تنهمر .

ثم التفت الشيخ إليّ وقال برقة : «وأنت يا بُني؟! ما الذي دفعك إلى الزواج بجنيّة؟! هل خلت الأرض من الإنسيات؟!» . قلت : «الحب ، يا سيدي!» قال : «يا بنيّ! طبيعة الإنس غير طبيعة الجن . كيف يجتمع طين ومارج من نار؟! رأيت بنفسك الفرق . كدت تموت لولا رحمة اللّه» . قلت : «أستغفر اللّه ، يا سيدي!» قال : «يا بُنيّ! اقتضت حكمة اللّه أن تكون نساء الإنس لرجال الإنس ونساء الجن لرجال الجن . هل فهمت؟» . قلت : «نعم يا سيّدي!» .

التفت الشيخ إلى عائشة وأشار إليها فجاءت وجلست عند قدميه . اشار إليّ فقمت بدوري وجلست بقربها . قال الشيخ بلهجة حازمة : «طلقها يا بنيّ ، أمامي!» . طلقتها أمام الشيخ الذي قال : «انسها! لا تحدّث نفسك برؤيتها» . قلت : «ولكني لا أزال . . لا أزال . .» . ابتسم وقال : «لا تزال تحبها؟!» . قلت : «نعم ، يا سيدي!» . قال : «اقترب!» . وضع يده على جبهتي وقرأ : «هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون . الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتقين» . قرأ الشيخ الآيتين عدة مرات ، وعندما انتهى شعرت أن كل ما أحمله لعائشة من حب قد تطاير مع حبات العرق التي تساقطت من جبيني . أحسست أن المرأة التي تجلس بجانبي أصبحت امرأة

غريبة لا تربطني بها سوى رابطة الذكريات .

كرر الشيخ مع عائشة ما فعله معي . ثم قال : «يا أمة اللّه! أقسمي أمامي إنك لن تزوريه ولن تحاولي رؤيته من قريب أو بعيد» . ترددت قليلاً ثم أقسمت . قال الشيخ : «بارك اللّه فيك!» .

أخذ الشيخ بيدي وقادني إلى باب الخيمة . أشار إلى أضواء بعيدة وقال : «هذه مراكش . سر في اتجاه الأضواء وسوف تكون هناك قبل الصباح» . قلت : «يا سيدّي! من . . .» . قاطعني مبتسماً وقال : «استمع إليّ! يا بُني! لا تقفُ ما ليس لك به علم فإن فعلت ابتليت بفقد العقل . يا بني! لا تغيّر خلق اللّه ، فإن فعلت كنت من أتباع الشياطين! يا بنيّ! اقنع بما كتبه اللّه يغنك بما قنعت به . اذهب الآن على بركة اللّه» .

حسنٌ ، أيها القراء الكرام! أعرف كل الأسئلة التي تدور ، الآن ، في رؤوسكم ، لأنها دارت في رأسي . كيف انتقلت من الفندق إلى الخيمة؟ من هو هذا الشيخ الوقور؟ هل هو من الجن أم الإنس؟ لماذا سمّى عائشة «أمة اللّه»؟ لماذا توعّدها بالقتل؟ لماذا كانت تعامله بهذا الخوف الشديد؟ لم أقف ما ليس لي به علم ، ولا أزال ، حتى هذه اللحظة ، أجهل الإجابة عن هذه الأسئلة . لكم ، والحالة هذه ، أيها القراء الكرام ، أن تتخيلّوا ماتشاؤون!

لم أر زوجتي منذ طلقتها في تلك الليلة الليلاء – وأعتقد أنها التزمت بقسمها ولم ترني . لم تبق الآن سوى الذكريات الشقية والسعيدة – التي تختفي ، شيئاً فشيئاً ، سنة بعد سنة ،

في ضباب الأزمنة البعيدة . حتى الهاتف الجنيّ الذي كنت أحتفظ به في حقيبة ملابسي لم أجده تلك الليلة : ذهب ولم يعد!

-٢٢-

وأخيراً...

أقدّم لكم غزلان

قد طرق الباب فتىً مُتعبٌ
طال به السير وكلّتْ خُطاهْ

نقَّل في الأيام أقدامه
يبغَي خيالاً ماثلاً في مناهْ

ناجي

انتهت ، أيها القراء الكرام ، الحكاية الرئيسية ، حكايتي مع زوجتي الأولى ، زوجتي الجنيّة . بقي هامش قصير يتعلّق بزوجتي الرابعة ، الحالية . عدت إلى المغرب ، بعد غياب طويل ، في زيارة سياحية مع بعض زملاء العمل ، في منتصف الثمانينات الميلادية . في تلك الأيام لم تعد المغرب مكاناً مجهولاً بعيداً . كان المقرر أن تبدأ الجولة في الدار البيضاء حيث نقضي بضعة أيام ، وننتقل منها إلى بقية المدن المغربية . إلا أن الأمور لم تسر على هذا النحو .

بمجرد دخولي إلى الفندق ، شعرت بدافع لا يقاوم إلى زيارة المكان القديم ، «هوتيل مولاي إدريس» ، في «زنقة الريف» . وجدت الزنقة ، ولم أجد الهوتيل . في ميدان قريب وجدت فندقاً ضخماً جديداً يحمل اسم «رويال هوتيل» . أحسست بقدميّ تقودانني إلى هذا الفندق – وتبعتهما دون تفكير . عندما دخلت إلى الصالة شعرت أن قلبي يوشك أن يتوقف . على طاولة الاستقبال كانت هناك . . . كانت هناك حبيبتي فاطمة الزهراء! اندفعت كالمجنون ، ووقفت أمامها ، وقبل أن أقول شيئاً لاحظت ، على الرغم من الشبه الواضح ، أن هذه الفتاة ليست ، كما ظننت ،

فاطمة الزهراء . نظرت إليّ وابتسمت وقالت : «نعم؟» . قلت : «أنت . . أنت . . هل أنت فاطمة الزهراء؟!» . ضحكت وقالت : «لا . اسمي غزلان . ولكن قل لي أنت كيف تعرف فاطمة الزهراء؟» .

قاد حديث إلى حديث ، وشيء إلى شيء . تبيّن أن غزلان ابنة شقيق فاطمة الزهراء ، وأنها ولدت في الأسبوع الذي توفيت فيه عمتها ، قبل قرابة ربع قرن . عندما كبرت اتضح أن هناك شبهاً كبيراً يربطها بعمتها الراحلة - وأصبح الشبه موضوعاً أثيراً لدى أفراد الأسرة ، على الرغم من أن هذا الشبه ، بعد التأمل ، يبدو أقل بكثير مما بدا أول مرة .

حسنٌ ، أيها القراء الكرام! خطبتُ غزلان ، ووافقت هي ، وتردّد أهلها بسبب فارق السن ، إلا أن إصرارها حملهم على تغيير موقفهم . كانت أم فاطمة الزهراء وأبوها قد توفيا ، ولم يكن أحد من أهل غزلان يعرف قصة الشاب السعودي الذي ظهر ، لفترة وجيزة ، في حياة فاطمة الزهراء ثم اختفى . لم أرو القصة لغزلان ولم تسأل هي . لا أدري لماذا كنت أشعر أنها تعرف كل ما حدث ، مجرد شعور لا يدعمه شيء من الواقع .

سبق أن أخبرتكم ، أيها القراء الكرام ، أن الزواج ، بفضل اللّه ، كان سعيداً ، وتمت سعادته بقدوم مشعل ثم مشاعل . كانت حياتنا منذ بدايتها ، وحتى الآن ، طبيعية جداً ، نتشاجر ونتصالح ، ونغضب ونرضى ، وتصر غزلان على أن أقوم بدوري الكامل في الأعباء المنزلية (حتى غسل الأطباق! واذلاّه يا بني

الضبيّع!) ذهبت طقوس التدليل بلا عودة . لم يعد هناك حمام للقدمين ، أو حمّام مغربي ، أو تدليك تصحبه روائح مثيرة . أعتقد أن الكلام الذي سمعته من صديقي قنديش عن المرأة المغربية العاشقة لا يخلو من مبالغة!

ألاحظ ، أحياناً ، في عيني مشعل ومشاعل شعاعاً غريباً لم أره من قبل إلاّ في عيون القطط في الظلام . وأشعر ، أحياناً ، أن غزلان تستطيع التحدث مع مشعل ومشاعل بدون استخدام كلمات . وأسمع ، أحياناً ، صوتاً جميلاً لا أعرف مصدره يتغنى بترنيمة مغربية جميلة عن طفل يريد الطعام .

حسنٌ أيها القراء الكرام! لا يجوز للرجل العاقل أن يعكر صفوَ حياته الزوجية السعيدة بأمور تافهة مثل هذه ، أليس كذلك؟!

مراجع

أولاً: مؤلفات انثروبولوجية

- سامية حسن الساعاتي ، السحر والسحرة ، (القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر ، ٢٠٠٢م) .
- محمد اديوان ، **الثقافة الشعبية المغربية (الذاكرة والمجال والمجتمع)** ، (الرباط : مطبعة سلي : ٢٠٠٢) .
- مصطفى واعراب ، **المعتقدات السحرية في المغرب** ، (الرباط (؟) : منشورات الأحداث المغربية ، ٢٠٠٣م) .

بالانجليزية:

Saad Abdulla Sowayan *"The Position of Jin in the Arab World View"*, M.A Thesis, 1973, Department of Anthropology, North Illinois University.

ثانياً: مؤلفات أدبية

- عكاشة عبدالمنان الطيبي ، الجن في أدب الجاحظ ، (بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٩٦م) .
- محمد عبدالرحيم ، أدب الجن أشعارهم وأخبارهم ، (دمشق : دار الكتاب العربي ، ١٩٩٧م) .

ثالثاً: مؤلفات شرعية وفقهية تتراوح في دقتها ومنهجيتها تراوحاً كبيراً وأفضلها ما كان مبنياً على رسائل جامعية:

- الصادق بن الحاج التوم، **الإيضاح المبين لكشف حيل السحرة والمشعوذين**، (الرياض: دار الأرقم، ١٤١٨هـ).
- أحمد بن عبدالملك الزغبي، **الجواهر اللماعة في علاج المسّ والصرع والطيرة في الوقت والساعة**، (الكويت، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م).
- ------ **الصواعق الحارقة على الشياطين والسحرة المارقة**، (الكويت: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م).
- إبراهيم كمال أدهم، **السحر والسحرة من منظار القرآن والسّنة**، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م).
- أبو أسامة محي الدين، **عالم الجن والشياطين من القرآن الكريم وسنة خاتم المرسلين**. (جدة: مكتبة الخدمات الحديثة، ١٩٩٤م).
- السيد الجميلي، **التداوي بالقرآن الكريم والرقي والتعاويذ**، (بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٩٢م).
- أبو بكر بن محمد الحنبلي، **علاج الأمور السحرية من الشريعة الإسلامية**، (القاهرة: مكتبة القرآن، ١٤٠٣هـ).
- أحمد بن محمود الديب، **العلاج القرآني والطبي من الصرع الجنّي والعضوي**، (جدة: مكتبة الصحابة، د. ت).
- أسامة بن ياسين المعاني، **القول المعين في مرتكزات معالجي الصرع والسحر والعين**، (عمان: دار المعالي، ٢٠٠٠م).
- ------ . **منكرات الإنسان فيما يسلط الجن والشيطان**، (عمان، دار المعالي، ٢٠٠٠م).
- ------ . **منهج الشرع في بيان المسّ والصرع** (عمان: دار المعالي، ٢٠٠١م).
- إبراهيم عبدالعليم عبدالبرّ، **كشف الستار عن فتح الكنوز واستخراج الآثار**، (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م).
- ابن تيمية، **البيان المبين في أخبار الجن والشياطين**، (القاهرة: دار الفضيلة، د. ت).
- جمال محمد سرحان، **السحر والشعوذة طرق وعلاج**، (عمّان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م).
- .... **الصواريخ القاتلة في التصدي للجن**، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م).
- جمال بن محمد الشامي، **وقاية الإنسان من السحر والجان والشيطان**، (عمّان: دار الإسراء للنشر والتوزيع، د. ت).
- جمعة العبيد الصالح، **سبيل المؤمنين في إبطال السحرة وعمل السحرة وكيد الشياطين**، (عمّان: دار الإسراء، ٢٠٠٠م).
- زهير حمدي، **الإنسان بين السحر والعين والجان**، (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩م).
- صالح بن عبدالله بن زيد الشمراني، **الإيضاح والبيان لعلاج**

العين والسحر والجان ، (جدة : مكتبة الصحابة ، ١٤١٤هـ) .
- طلعت بن فؤاد الحلواني ، **أوضح البيان في علاج المسّ والعين وإيذاء الشيطان** ، (بيروت : مؤسسة الريان ، ٢٠٠١م) .
- عكاشة عبدالمنان الطيبي ، **شياطين الإنس والجان** ، (القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٩٩م) .
- ------ . **حقيقة الجن في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب** ، (القاهرة : دار الفضيلة ، ١٩٩٣م) .
- عمر سليمان الأشقر ، **عالم الجن والشياطين** ، (عمّان : دار النفائس للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م) .
- ------ . **عالم السحر والشعوذة** ، (عمّان : دار النفائس ، ٢٠٠٢م) .
- عبدالرزاق نوفل ، **عالم الجن والملائكة** ، (القاهرة : دار الشعب ، د . ت) .
- عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار ، **فتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين** ، (الرياض : دار الوطن ، ١٤١٥هـ) .
- ------ . **كيف تتخلّص من السحر** ، (الرياض : دار المعلم للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م) .
- عبدالحميد السحيباني ، **الجن صفاتهم وسبل الوقاية من شرهم** ، (الرياض : دار القاسم ، ٢٠٠٠م) .
- عبدالرحيم عبدالواحد الشرعبي ، **تطهير الجنان من التعلّق بالشياطين والكهان** ، (مكة المكرمة : دار الحديث الخيرية ، ١٩٩٤م) .

- عرفان بن سليم الدمشقي ، **وقاية الإنسان من مداخل الشيطان وكيفية استخراج السحر والجان** ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ٢٠٠٣م) .
- عبدالوهاب العثمان ، **الجن والشياطين مع الناس** ، (الكويت : د . ن ، ١٩٨٩م) .
- علي اللّه بن علي أبو الوفا ، **الدواء القرآني للجن والمسّ الشيطاني** ، (الكويت : مكتبة ابن كثير ، ٢٠٠٤م) .
- علي بن محمد بن مهدي القرني ، **الصحيح البرهان فيما يطرد الشيطان في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة** ، (الرياض : الفرقان ، ١٤١٠هـ) .
- علي بن حسن الحلبي الأثري ، **برهان الشرع في إثبات المسّ والصرع** ، (مكة المكرمة : المكتبة المكية ، ١٩٩٦م) .
- عبدالحميد هنداوي ، **علاج السحر والمسّ والعين والجان** ، (الشارقة : مكتبة الصحابة ، ٢٠٠٢م) .
- عيادة بن أيوب الكبيسي ، **الوسوسة أسبابها وعلاجها** ، (دبي : دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، ٢٠٠١م) .
- عبدالكريم نوفان عبيدات ، **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة** ، (الرياض : دار إشبيليا للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م) .
- فائق قرميس ، **المبين في التصدّي للسحرة والشياطين** ، (الرياض : دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٥هـ) .
- فريال علوان ، **عالم الجان من خلال القرآن والأحاديث**

الشريفة ، (بيروت ، دار الفكر اللبناني ، ١٩٩١م) .
- فريد مجيد ، **عالم الجن والأشباح والشياطين** ، (عمّان : دار أسامة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١م) .
- فتحي يكن ، **حكم الإسلام في السحر ومشتقاته** ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٤م) .
- محمد سيد محمود ، **علاج المسحور بالقرآن والمأثور** ، (القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٩١م) .
- ماهر بن صالح آل مبارك ، **فتح المغيث في السحر والحسد ومسّ ابليس** ، (الرياض : دار علوم السنة للنشر ، ٢٠٠٠م) .
- محمد حسن إسماعيل ، **الرقى الشرعية والطب وعلاج المسحور من صحيح البخاري وفتح الباري** ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٢م) .
- مجدي محمد الشهاوي ، **العلاج القرآني للسحر والمسّ الشيطاني** ، (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٩٨م) .
- ------ . **العلاج الرباني للسحر والمسّ الشيطاني** ، (القاهرة : مكتبة القرآن ، ١٩٩٨م) .
- ------ . **تحضير الأرواح وتسخير الجان بين الحقيقة والخرافة** ، (الرياض : مكتبة الساعي ، ١٩٨٩م) .
- محمد علي حمد السيّد أبي ، **حقيقة الجن والشياطين (من الكتاب والسنة)** ، (الخرطوم : دار الحارث للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧م) .
- محمد بيومي ، **عالم الجن والشياطين من الكتاب والسُنّة** ،

(بيروت ، مكتبة الإيمان ، ١٩٩٥م) .
- محمد عصام طربية ، **الاستشفاء بالقرآن والتداوي بالرقي** ، (عمان : دار الإسراء للنشر والتوزيع ، ١٩٩٤م) .
- محمد عيسى علي المغربي ، **الشفاء بالقرآن من شر الإنس والجان** ، (عمان : دار الإسراء للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩م) .
- مصطفى عاشور ، **عالم الجن أسراره وخفاياه** ، (القاهرة : مكتبة القرآن ، ١٩٨٦م) .
- مجيد طراد ، **الكائنات غير المنظورة الملائكة ، الجن ، الشياطين** ، (طرابلس – لبنان : المؤسسة الحديثة للكتاب ، ١٩٩٣م) .
- محمد بن عبدالله الشبلي ، **آكام المرجان في أحكام الجان** ، (بيروت : دار الفكر العربي ، ١٩٩١م) .
- وائل بن السعيد آل درويش ، **الصحيح الجامع لأخبار الجن والشيطان من القرآن والسنة وأقوال أهل العلم** ، (القاهرة : دار الفتوح الإسلامية للطباعة ، ١٩٩٦م) .
- وحيد بالي ، **الصارم البتّار في التصدّي للسحرة الأشرار** ، (الرياض : دار الدليقان للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١م) .
- ------ . **وقاية الإنسان من الجن والشيطان** ، (القاهرة ، دار ابن الهيثم ، د . ت) .
- ولي زار بن شاه زالدين ، **الجن في القرآن والسنة** ، (بيروت : دار البشائر الإسلامية ، ١٩٩٩م) .

رابعاً: مؤلفات دجل وشعوذة يُحذّر القراء الكرام من تصديق أي شيء فيها (أو تجربته!)

- أحمد بن علي البوني، **منبع أصول الحكمة**، (د . ن . د . ت) . ويليه **السر المظروف في علم بسط الحروف**، لمحمد الشافعي الخلوتي الحنفي، ويليه **الدرة البهية في جوامع الأسرار الروحانية**، لعلي بن محمد الطندتائي .
- ـــــــــ . **شمس المعارف الكبرى**، (بيروت : المكتبة الثقافية، ٢٠٠٥م) .
- السيد الحسني، **سحر الكهّان في أعمال الجان**، (القاهرة : مطبعة النصر، ١٩٩٤م) .
- ـــــــــ ، **سحر الهنود من عهد الجدود**، (د . ن ، ١٩٩٧م) .
- ـــــــــ ، **السحر الأحمر والكبريت الأفخر**، (القاهرة : دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٩٦م) .
- عبدالفتاح السيد الطوخي، **السحر الجبار لكل محتار بالحكم والأشعار**، (بيروت : المكتبة الثقافية، ٢٠٠٤م) .
- ـــــــــ ، **حديث الطوخي مع الجان**، (بيروت : المكتبة الثقافية، د . ت) .
- ـــــــــ ، **مرشد الإنسان إلى رؤية الجان**، (بيروت : المكتبة الثقافية، ٢٠٠٣م) .
- ـــــــــ ، **تسخير الشياطين في وصال العاشقين**، (بيروت :

المكتبة الثقافية، د . ت) .
- ـــــــــ ، **الكباريت في إخراج العفاريت**، (بيروت : المكتبة الثقافية، د . ت) .
- ـــــــــ ، **المندل والخاتم السليماني والعلم الروحاني للإمام الغزالي**، (بيروت : المكتبة العلمية الفلكية، د . ت)
ملحوظة : ليس لحجة الإسلام الغزالي صلة من قريب أو بعيد بكتاب الشعوذة هذا!
- ـــــــــ ، **كل ما كان بين الإنس والجان وعجائب الزمان**، (بيروت : المكتبة الثقافية، ٢٠٠٤م) .
- ـــــــــ ، **العفاريت والجن**، (بيروت : المكتبة الثقافية، د .ت) .
- ـــــــــ ، **سر الأسرار في علم الأخبار**، (بيروت : المكتبة الثقافية، د . ت) .
- محمد الكشناوي الغلاني، **الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في السحر والطلاسم والنجوم**، (الدار البيضاء، مكتبة الوحدة العربية، د . ت) .
- محمد ريان، **عالم الأسرار في تحضير الجان والتعامل مع القرية والعمار**، (د . ن . د . ت) .